التّماسك النّصيّ في آية الكرسيّ
آليَّاتُه وأبعادُه البلاغيَّة

إعـداد

دكتورة/ مريم عبد العظيم محمد السيد

أستاذ البلاغة والنقد المساعد

في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ببورسعيد

جامعة الأزهر - مصر

١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٥م

التَّماسك النصيّ في آية الكرسيّ آليَّاتُه وأبعادُه البلاغيَّة

مريم عبد العظيم محمد السيد
قسم البلاغة والنقد -كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ببورسعيد – جامعة الأزهر – مصر.
البريد الإلكتروني:
mryamelsaid.173@azhar.edu.eg

الملخص:

ينحو هذا البحث منحىٰ جديدًا في الدرس البلاغي ينأىٰ به عن النمطية المعهودة في التحليل؛ حيث يقوم علىٰ تحديد الأدوات النحوية والآليات الدلالية التي تحقق التلاحم والانسجام بين مجموعة من الجمل المتتالية، وتحقق التماسك بين أجزاء النص، ومن ثمّ كان التماسك النصي موضوع تلك الدراســة التي اختارت أعظم آية في القرآن وهي آية الكرسيّ محورًا تدور حوله.

وكان الهدف من هذه الدراسة: التعرُّف علىٰ الوسائل التي حصل بها تماسك أجزاء النص الكريم، وترابط أطرافه علىٰ كثرة جمله وتعدد فواصله، الأمر الذي جعله أحد أوجه إعجازه البلاغيّ.

وقد انتظمت هذه الدراسة في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، تتبعها خاتمة، وثبت للمصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات، جاء المبحث الأول تحت عنوان: التماسك النصي عن طريق العطف، وتفرع عنه مطلبان رئيسان، وأما المبحث الثاني فكان بعنوان: التماسك النصي عن طريق الحذف، وجاء تحته مطلبان - أيضًا- يتبعهما المبحث الثالث، وعنوانه: التماسك النصي عن طريق الإحالة، وقد اشتمل علىٰ أربعة مطالب تلتها الخاتمة التي عرضت أبرز نتائج الدراسة وأهم التوصيات. وقد اعتمدت المنهج الوصفي القائم علىٰ التحليل في تنفيذ هذه الخطة.

الكلمات المفتاحية: التماسك النصي – آية الكرسي – الترابط – العطف – الحذف – الإحالة.

Textual Cohesion in Ayat al-Kursi Its Mechanisms and Rhetorical Dimensions

Maryam Abdel-Azim Muhammad al-Sayyid

Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls, Port Said, Al-Azhar University, Egypt.

Email: mryamelsaid.173@azhar.edu.eg

Summary

This research takes a new approach to rhetorical studies, departing from the usual stereotypical analysis. It is based on identifying the grammatical tools and semantic mechanisms that achieves cohesion and harmony between a group of successive sentences, and achieves coherence between parts of the text. Textual cohesion is therefore the subject of this study, which chose the greatest verse in the Qur'an, the Throne Verse, as its axis.

This study is organized into an introduction, a preface, and three chapters, followed by a conclusion, a list of sources and references, and an index of topics. The first chapter is titled: Textual cohesion through conjunction, and Two main requirements emerged from it.

The second section was entitled: Textual Cohesion by Deletion, and two topics were included under it - also - followed by the third section, entitled: Textual Cohesion by Reference, and it included four topics followed by the conclusion, which presented the most prominent results of the study and the most important recommendations. I adopted the descriptive approach based on analysis in implementing this plan.

Keywords:

Textual cohesion - Ayat al-Kursi - coherence - conjunction - deletion - reference.

المقدِّمـــــــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المتقين، سيدنا محمد ﷺ، وعلىٰ آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين. **وبعد:**

فقد كان (التماسك النصي) موضع اهتمام علمائنا الأوائل علىٰ اختلاف توجُّهاتهم وتنوع انتماءاتهم، إلا أنهم لم يطلقوا عليه هذه التسمية، وإنما وضعوا له مصطلحات وأسماء تلتقي معه في المضمون، وتشاركه الدلالة علىٰ مُسمّىٰ واحد من نحو: الانسجام، والاتساق، والسبك والحبك، والنسج، والضم والتعليق، وغيرها من مصطلحاتهم التي زخر بها تراثهم القديم.

وكانت بداية ظهور هذا المصطلح أواخر القرن الماضي؛ حيث انبرىٰ علماء وباحثون غربيون لدراسة النص مولّدين بذلك فرعًا جديدًا من فروع علم اللسانيات، سمّوه (لسانيات النص)، اتجه هذا الفرع إلىٰ البحث في نصية النصوص، أي في الوسائل التي يصير بها الكلام نصًّا، والمعايير التي تجعل النص متماسكًا ومتلاحمًا، وبذلك انتقل الاهتمام من الجملة – التي كانت موضع الدرس دهورًا عديدة-إلىٰ النصّ، أو بعبارة أخرىٰ: من(نحو الجملة) إلىٰ(نحو النصّ).

فـ(التماسك النصي) إذًا: مفهوم يتجاوز حدود الربط بين أجزاء الجملة الواحدة إلىٰ البحث في الوسائل التي تحقق التلاحم والانسجام بين مجموعة من الجمل المتتالية؛ إذ لا يمكن الإحاطة بمعنىٰ تلك الوحدات الجُمَلِيّة إلا بوضعها في إطارها الكُلِّيِّ، وهو النص، ولا يتحقق ذلك إلا من خلال مجموعة من الأدوات النحوية والآليات الدلالية.

ومن هنا برزت أهمية هذا المفهوم في الدراسات الحديثة، وظهر أثره البالغ في تحديد أوجه الربط بين وحدات النص، الأمر الذي جعله مُتَّكَئًا يعتمد عليه محلّل النص – أيًّا كانت وجهته – في الحكم بنصِّية الكلام أو عدمها.

وإذا كان الأمر كذلك فدارس البلاغة أحقُّ وأولىٰ أن يعتني بهذا المصطلح، وأن يبني عليه تحليلاته للنصوص، لأن معايير النصِّية وآليات التماسك ليست – في أصلها -إلا مولودةً من رحم علوم البلاغة متفرعةً عنها، ومن هنا وقع الاختيار علىٰ موضوع هذا البحث الذي جاء بعنوان:

التماسك النصي في آية الكرسيّ، آلياته وأبعاده البلاغيَّة

أهمية الموضوع:

ترجع أهمية الموضوع في كونه -أولًا -أحد المساهمات في دراسات النص من زاوية التماسك، وهي زاوية تحظىٰ باهتمام كبير في البلاغة الحديثة؛ إذ إنها أحد مظاهر رقي البحث البلاغي وتطوُّره، وتنبثق أهمية الموضوع – ثانيًا – من فضل مادته التي أقيم عليها وشرفها وعلُّوها علىٰ ما سواها من التراث الأدبي؛ حيث أقيم هذا البحث علىٰ نصٍّ قرآني يضمُّ بعضًا من صفات الخالق – سبحانه وتعالىٰ -وأسمائه العلا.

أسباب اختيار الموضوع:

١ – حاجة المكتبة البلاغية إلىٰ إثرائها بهذا التوجُّه الجديد الذي يخرج بالتحليل البلاغي عن دائرة النَّمطِيَّة وينأىٰ به عن الجمود.

٢ – أن خير ما يولي البلاغي وجهه نحوه في دراسة التماسك النصي هو نصوص القرآن الكريم؛ وذلك لما يمتاز به النص القرآني من بنية بيانية متقنة تتجاوز الإمكانات البشرية.

٣- وقع الاختيار علىٰ آية الكرسي لتكون ميدانًا لدراسة التماسك النصيّ لسببين: الأول: لما تواترت به الأخبار النبوية من كونها سيدة آي القرآن وأعظم آية فيه، ومردّ ذلك إلىٰ ثرائها بالدلالات والهدايات التي لم تجمعها آية غيرها في كتاب الله -جل وعلا-من "بيان توحيد الله تعالىٰ وتمجيده وتعظيمه، وذكر أسمائه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ"(١).

والسبب الثاني: أنها اشتملت علىٰ نحو عشر جمل جاءت -في أكثرها – من غير عطف للاحقها علىٰ سابقها، ومع ذلك بدت محكمة المباني، متَّسقة المعاني، وهو ما يحرّك النفس لسبر أغوارها ومحاولة الكشف عن أوجه التناسق بين موضوعاتها، ويجعلها مجالا خصبًا لدراسة آليات التماسك بين أجزائها؛ امتثالًا للأمر الإلهي بتدبر آي الذكر الحكيم، ومحاولة في الإسهام في بيان أحد أوجه إعجازه.

الهدف من الدراسة:

تقوم هذه الدراسة علىٰ أساس من البحث في النصّ القرآني المختار – وهو آية الكرسيّ -بهدف: التعرُّف علىٰ الوسائل والآليات التي حصل بها تماسك أجزاء الآية الكريمة وترابط عناصرها، وذلك من خلال النظر في علاقة كل كلمة بما جاورها، وعلاقة الجملة بالجملة التي تليها، وكشف النقاب عن مسوّغات الربط بين المفردات والجمل علىٰ المستويين النحوي والدلالي التي كان لها الأثر البالغ في بناء نصٍّ كليٍّ مُحكمٍ متماسك الأطراف يجمع بين التأثير في المتلقي وإقناعه وإمتاعه.

---

(١) بذل المجهود في حل سنن أبي داود للشيخ خليل أحمد السهارنفوري (ت ١٣٤٦ هـ)، اعتني به وعلق عليه: الأستاذ الدكتور تقي الدين الندوي، ط: مركز الشيخ أبي الحسن الندوي للبحوث والدراسات الإسلامية، الهند، الأولىٰ، ١٤٢٧ هـ-٢٠٠٦ م، ٦/ ١٧٢.

الدراسات السابقة:

لم أعثر -فيما وقف عليه بحثي – علىٰ دراسة ذات صلة بموضوع هذه الدراسة المبنية علىٰ دراسة التماسك النصيّ في آيات الكرسيّ، فغاية ما وجدته عبارة عن بحوث صغيرة ومقالات تتحدث عن فضل الآية ومكانتها وتتناول تفسيرها، ومن تلك البحوث:

١- **بحث بعنوان: (الإيضاح والبيان لأعظم آية في القرآن)**، تأليف: لولوة بنت عبد الكريم بن سعد المفلح -أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بكلية التربية للبنات بالرياض، وهو بحث منشور في مجلة البحوث الإسلامية – السعودية – العدد ٨٢ سنة ٢٠٠٧م، وقد اشتملت خطته علىٰ مقدمة وتفسير للآية وخاتمة.

٢- **بحث بعنوان: (دراسات حول هدايات آية الكرسيّ وتناسقها الموضوعي)**، المؤلف: أ.د/ طه عابدين طه حمد-أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة أم القرىٰ، وهو بحث منشور في مجلة بحوث ودراسات العالم الإسلامي – جامعة أم درمان الإسلامية – السودان -العدد ١١ – عام ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٣م. وقد ركَّز البحث علىٰ جمع كلام علماء الأمة – خاصة المفسرين – عبر القرون المتنوعة حول هدايات الآية، وعرضها بصورة ميسرة وواضحة. وقد انقسّم البحث إلىٰ مقدمة وخمسة مطالب وخاتمة، جاء الحديث في المطلب الأول عن فضلها، وفي الثاني عن مناسبتها لما قبلها وما بعدها، وفي الثالث عن المعنىٰ الإجمالي لها، وفي الرابع عن فوائدها وهداياتها، وفي الخامس عن تناسقها الموضوعي، وقد وقع هذا المطلب الأخير في ثلاث صفحات تناول فيها المؤلف -في اقتضاب-علاقة كل جملة بالتي قبلها معتمدًا في ذلك علىٰ ما كتبه مؤلفو علم تناسب الآيات والسور.

خطة الدراسة:

انتظمت هذه الدراسة في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، تتبعها خاتمة، وثبت للمصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات.

١- **المقدمة:** تحدّثت فيها عن أهمية الدراسة، وما دفعني إليها، وضمّنتها خطة الدراسة ومنهجها.

٢- **التمهيد:** وفيه ثلاثة عناصر :

أولًا: مفهوم التماسك النصي وآلياته.

ثانيًا: التماسك النصي عند علمائنا الأوائل.

ثالثًا: نبذة عن آية الكرسيّ.

٣- **المبحث الأول: التماسك النصي عن طريق العطف بالواو**

ويندرج تحته مطلبان:

المطلب الأول: **عطف المفردات بالواو**

المطلب الثاني: **عطف الجمل بالواو**

٤- **المبحث الثاني: التماسك النصي عن طريق الحذف**

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: **حذف المسند بعد واو العطف**

المطلب الثاني: **حذف الواو العاطفة بين الجمل**

٥- **المبحث الثالث: التماسك النصي عن طريق الإحالة**

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: **التماسك النصي عن طريق الإحالة بالضمائر**

المطلب الثاني: **التماسك النصي عن طريق الإحالة بالتكرار**

المطلب الثالث: التماسك النصي عن طريق الإحالة بالأسماء الموصولة واسم الإشارة(ذا)

المطلب الرابع: التماسك النصي عن طريق الإحالة بالطباق

٦- **الخاتمة:** وقد جمعت فيها أبرز ما توصّلت إليه الدراسة من نتائج، وأهم التوصيات.

٧- **ثبت المصادر والمراجع.**

٨- **فهرس الموضوعات.**

منهج البحث:

كان المنهج الوصفي القائم علىٰ التحليل هو الآلية التي اعتمدت عليها في تنفيذ هذه الخطة، حيث سيّرتني طبيعة الموضوع إلىٰ وصف التماسك النصي، وتعريفه وتتبع جذوره في كتب التراث العربي، ثم استقصاء أدواته وآلياته وصوره في آية الكرسيّ، وتحليلها تحليلًا بلاغيًّا يهدف إلىٰ الوقوف علىٰ أسرار كل منها، وعلىٰ الوجه الذي استحق به أن يكون أحد مظاهر الربط بين أجزاء النص.

والله أسأل أن أكون قد وفّيت الدراسة حقها، وأخرجتها على الوجه المُرضي، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التمهيد

وفيه ثلاثة عناصر:

أولًا: مفهوم التماسك النصي وآلياته.

ثانيًا: التماسك النصي عند علمائنا الأوائل.

ثالثًا: نبذة عن آية الكرسي.

التمهيد

أولًا: مفهوم التماسك النصي وآلياته:

يعدُّ التماسك النصي أبرز مباحث علم النص، ذلك العلم الذي وإن كان نشأ حديثًا علىٰ أيدي باحثين غربيين، إلا أن لبنته الأولىٰ وضعها علماؤنا العرب قديمًا الذين ضمّنوا كتبهم ما يسمىٰ اليوم (معايير النصيّة، وآليات التماسك النصيّ) وإن لم يطلقوا عليها تلك التسمية – كما سيأتي بيانه، وهذا المصطلح يتركب – كما هو واضح – من جزأين: الأول:(التماسك)، والثاني:(النصي)، ولذا سيبدأ البحث بتعريف كل منهما، ثم يثني بتعريف المصطلح في محاولة لتبصير القارئ بالوجه الذي بنىٰ عليه الباحثون تعريفهم لهذا المصطلح.

أما(التماسك) فهو في اللغة: فهو مصدر(تَفَاعَل) من(مسك)، يُقال: أمسكت الشيء، وتمسكت به: اعتصمت به [(١)]، و"التماسك: ترابط أَجزَاء الشَّيْء حسيًّا أَو معنويًّا وَمِنْه التماسك الاجتماعي وَهُوَ ترابط أَجزَاء الْمُجْتَمع الْوَاحِد"[(٢)]، **وأما(النصيّ): فهو المنسوب إلى(النصّ)، وهو في اللغة:** يطلق علىٰ عدة أشياء، منها: رفع الشيء، إظهاره، وبلوغه منتهاه ومبلغ أقصاه[(٣)].

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي(ت ٣٩٣هـ). تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. ط: دار العلم للملايين – بيروت–الرابعة ١٤٠٧هـ–١٩٨٧م–٤/ ١٦٠٨–مادة مسك.

(٢) المعجم الوسيط. تأليف: نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة. ط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة. الثانية(كُتِبَتْ مقدمتُها ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م). ٢/ ٨٦٩–مادة نصص.

(٣) يُنظر: لسان العرب لأبي الفضل محمد بن مكرم بن علي بن منظور(ت ٧١١هـ). ط: دار صادر – بيروت–الثالثة–١٤١٤هـ. ١٠/ ٥٣–نصص.

وعرّفه الجرجاني بقوله: " هو ما لا يحتمل إلا معنىٰ واحدًا، وقيل ما لا يحتمل التأويل"(١)، وجاء في المعجم الوسيط: " النصُّ صِيغَة الْكَلَام الْأَصْلِيَّة الَّتِي وَردت من الْمُؤلف"(٢).

وفي الاصطلاح:

اختلف في تحديد مفهوم النص؛ نظرا لاختلاف رؤىٰ الباحثين في هذا المجال، وتعدد اتجاهاتهم ونظرياتهم والمدارس اللسانية التي ينتمون إليها، والمتأمل في تعريفات الباحثين المحدثين لمصطلح النص يلاحظ انقسامهم في ذلك قسمين: الأول: اهتم بشكل النص، وهو ما يطلق عليه اتساق النص، فالنصُّ عندهم وحدة كلية مترابطة الأجزاء، تتبع فيه الجمل بعضها بعضا عن طريق الظواهر الشكلية والأدوات النحوية، والقسم الثاني من الباحثين صبّ اهتمامه علىٰ دلالة النص، وهو ما يطلق عليه انسجام النص، فالنص عندهم هو ما ينتهي إليه اللفظ أو مجموع الألفاظ من معان وأفكار تصل إلىٰ ذهن المتلقي فيفهمها ويعيها.

والحق أن كل اتجاه من الاتجاهين يكمل الآخر، وأنه لا يمكننا تحديد مفهوم النص من خلال التركيز علىٰ جانب الاتساق وحده أو الانسجام منفردًا، بل لا بد من ضم هذا إلىٰ ذاك؛ بيان ذلك: أنه ليس بالضرورة أن ينتج اتساق الجمل مع بعضها نصًّا مترابط الدلالة، فلو قلنا: "أحمد في سيارته قبل أن يشتري بيتًا بقرض من البنك" لن

---

(١) كتاب التعريفات لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني(ت ٨١٦هـ). ضبطه وصححه جماعة من العلماء. ط: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان–الأولىٰ ١٤٠٣هـ–١٩٨٣م. ص٢٤١.

(٢) المعجم الوسيط. ٢/ ٩٢٦–نصص.

يُفهَم المراد من هذا النص رغم أنه مُتَّسِقٌ شكلًا، كذلك فإنه لا يمكن للدلالة أن تعالج مشكلة الصياغة، فالنص قد يكون مفهومًا وواضحًا لكن اتساقه ليس متحققًا، كعبارة:(انتبه – عبور شاحنات) فالسائق يدرك أن ثمة شاحنات تقطع الطريق من حين لآخر، فيجب عليه أن يقود ببطء في هذه المنطقة حتىٰ يتجنب التصادم، رغم أن كل هذه الألفاظ التي شرحت العبارة والتي تعبر عن اتساق النص غير مذكورة فيه(١).

فالحاصل إذًا ضرورة الجمع في تعريف النص بين الشكل والدلالة، فلا بد أن يكون النص متسقًا في شكله وطريقة صياغته، ملتزمًا قواعد النحو، بالإضافة إلىٰ انسجام أجزائه وترابطها دلاليًا، ولعل أشهر من دمج بين الاتساق والانسجام – أو بين السبك والحبك – هو الأمريكي(دي بوجراند) الذي حدد للنص مفهوما جامعا مانعا حين نص علىٰ وجوب توافر سبعة معايير ليكون النص نصًّا، هذه المعايير هي: السبك أو الربط النحوي، الحبك أو التماسك الدلالي، القصد وهو الهدف من إنشاء النص، القبول أو المقبولية وتتعلق بموقف المتلقي من قبول النص، المقامية وتتعلق بمناسبة النص للموقف، والتناصّ ويتعلق بإظهار التداخل اللفظي أو المعنوي بين نص ما ونصوص أخرىٰ سبقته، والإعلامية وتتعلق بالمعلومات الواردة في النصّ(٢).

وقد حاول أحد الباحثين المعاصرين صياغة هذه المعايير في تعريفه للنص، فقال: " هو نظام كلي منطوق أو مكتوب، مكوّن من محمولات معرفية تربط بينها

---

(١) يُنظر: الترابط النصي في الخطاب السياسي. دراسة في المعاهدات النبوية. سالم ابن محمد المنظري. ط: بيت الغشام للنشر والترجمة الأولىٰ ٢٠١٥م. ١٧-٢٠.

(٢) يُنظر: النص والخطاب والإجراء. روبرت دي بوجراند. ترجمة: د/ تمام حسن. ط: عالم الكتب-القاهرة-الثانية ٢٠٠٧م. ١٠٣: ١٠٥.

روابط شكلية، أو دلالية، أو شكلية ودلالية، تنتج فكرة أو أكثر في سياق تفاعلي اتصالي بامتداد مفتوح"[١]. كذلك فإن من أهم التعريفات المعاصرة للنص تعريف عبد الرحمن طه له: " كل بناء يتركب من عدد من الجمل السليمة مرتبطة فيما بينها بعدد من العلاقات"[٢].

وأما مصطلح التماسك النصي: فهو مصطلح حديث مترجم عن الكلمة الإنجليزية *(cohesion)*، ولذا فقد وقع الاختلاف والخلط في ترجمته علىٰ ألسن الباحثين العرب، فمنهم من ترجمه إلىٰ(الاتساق)[٣]، ومنهم من ترجمه إلىٰ(السبك)[٤]، ومنهم من قال فيه (الترابط)[٥]، ومن الباحثين من فرق بين مصطلحين انجليزيين: الأول: cohesion الذي ترجمه إلىٰ(التماسك الشكلي)، والثاني: *coherence* الذي ترجمه إلىٰ التماسك الدلالي أو المعنوي[٦]، ومنهم من

---

(١) الترابط النصي في الخطاب السياسي ص ٢٣.

(٢) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. تأليف: طه عبد الرحمن. ط: المركز الثقافي العربي. بيروت. الثانية ٢٠٠٠م. ص ٣٥

(٣) يُنظر: لسانيات النص. مدخل إلىٰ انسجام الخطاب. ط: المركز الثقافي العربي. بيروت – لبنان–الأولىٰ ١٩٩١م. ٥–٦.

(٤) يُنظر: النص والخطاب والإجراء ١٠٣: ١٠٥.

(٥) يُنظر: الخطاب والمترجم. باسل حاتم وإيان ميسون. ترجمة: د/ عمر فايز عطاري. جامعة الملك سعود. الأولىٰ ١٤١٨هـ–١٩٩٨م. ص ٣٣٢.

(٦) يُنظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق. تأليف: صبحي إبراهيم الفقي. ط: دار قباء– القاهرة–١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م. ١/ ٩٦.

تأثر بكلام علمائنا الأوائل فترجم المصطلح الأول إلىٰ السبك، والمصطلح الثاني إلىٰ الحبك(١).

وعلىٰ كلٍّ فإن التماسك النصي بوجه عام عبارة عن " تعلق وحدات النص بعضها ببعض، بوساطة علاقات أو أدوات شكلية ودلالية، تسهم في الربط بين عناصر النص الداخلية، وبين النص والبيئة المحيطة من ناحية أخرىٰ؛ لتكوّن في النهـــاية رسالة يتلقّـــاها متلقٍّ فيفهمهـا ويتفاعل معهـا سلبًا أو إيجابًا"(٢).

وأما عن آليات التماسك النصي وأدواته التي يتحقق بها:

فقد كانت محطَّ اهتمام علماء النص الذين أدلىٰ كل منهم بدلوه في هذا المقام، والحاصل من تتبع كتاباتهم في هذا الصدد أن هناك آليات لتحقيق التماسك الشكلي(الاتساق أو السبك)، وأخرىٰ يحصل بها التماسك الدلالي(الانسجام أو الحبك)، فأما آليات التماسك الشكلي فأبرزها عندهم: الربط، والإحالة، والحذف، والتكرار(٣)، وأما آليات التماسك الدلالي فمنها: علاقات التضمن، الجزء، الكل، الملكية، السببية، التقابل، ومنها: التطابق أي مطابقة الضمائر لما تعود عليه، ومطابقة المحيل للمحال عليه(٤)، إلىٰ غير ذلك من العلاقات التي تحقق انسجام النص ويتفاوت ورودها من نص لآخر.

---

(١) يُنظر: نحو أجرومية للنص الشعري. دراسة في قصيدة جاهلية. سعد مصلوح. مجلة فصول. م ١٠. العدد الأول والثاني يوليو– أغسطس١٩٩١م. ص ١٥٤.

(٢) التماسك النصي– دراسة تطبيقية في نهج البلاغة. رسالة دكتوراه بالجامعة الأردنية للباحث عيسىٰ جواد فضل سنة ٢٠٠٥م. ص١٦.

(٣) يُنظر: النص والخطاب والإجراء ص ٣٠١.

(٤) يُنظر: لسانيات النص ٣٦–٤٠.

ومن الجدير بالذكر هاهنا أنني لم أشأ أن أقسم بحثي قسمين: تماسك شكلي، وتماسك دلالي، وهو التقسيم الذي ارتضاه جلُّ علماء النص، وذلك لسببين:

الأول: ما لمسته – فيما اطلعت عليه من كتب علم النص – من اضطراب الباحثين في التفرقة بين آليات كل قسم منهما، فما يعده أحدهم شكليًّا يراه آخر دلاليًّا، وما قد يسميه البعض لفظيًّا يضمه غيره في سلك المعنويات.

الثاني: أنني حاولت أن أنحي أقوال النصيين جانبًا، وأن أعمل ذهني في ذلك، فلم أجد بدًّا من نظرية النظم؛ إذ إنني كلما هممت أن ألحق عنصرًا بالتماسك الشكلي لما بدا فيه من أثر اللفظ في تحقيق التماسك وجدت نفسي – بعد مزيد من التأمل – أعزف عن هذا الرأي لما لاح لي من اشتمال هذا الرابط الشكلي علىٰ خصيصة دلالية خفيّة هي التي قوّت الرابطة وزادتها عمقًا، ولم يسلم العكس من ذلك أيضًا، فلله درُّ القائل: " واعلمْ أنَّ هذا – أعني الفرقَ بينَ أن تكونَ المزيةُ في اللفظِ، وبينَ أن تكونَ في النظم – بابٌ يَكْثُر فيه الغَلطُ، فلا تزَالُ تَرىٰ مُستحسِنًا قد أخطأَ بالاستحسانِ موضعَه، فينَحَلُ اللفظَ ما ليسَ له، ولا تزالُ تَرىٰ الشُّبهةَ قد دخلتْ عليك في الكلامِ قد حَسُنَ من لفظِه ونظمِه، فظننْتَ أنَّ حُسْنه ذلك كلَّه لِلَّفظِ منه دونَ النظْم"[1].

ولذا سيعرّج البحث في الصفحات القادمة – إن شاء الله –علىٰ إبراز آليات التماسك التي وردت في الآية الكريمة دون التعرُّض للحديث عن شكليتها أو دلاليتها، أو لما لم يرد منها فيها؛ إذ هي مناط البحث وعليها مداره.

---

(١) دلائل الإعجاز في علم المعاني للإمام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر. ط: مطبعة المدني بالقاهرة–دار المدني بجدة–الثالثة ١٤١٣هـ–١٩٩٢م. ص ٩٨.

ثانيًا: التماسك النصي عند علمائنا الأوائل:

اهتم علماء العربية الأوائل -اللغويون والبلاغيون والمفسرون -بتماسك النصوص من غير أن يطلقوا عليه هذه التسمية، أو يقوموا بصياغته في نظرية أو يضعوا له قواعد تحدد مباحثه وطريقة تحليله كما فعل الغربيون حديثًا، فالمتتبع لتراثهم يرىٰ ثراء كتبهم بمصطلحات وأسماء تلتقي في مُسمّاها مع مصطلح التماسك النصي – بمفهومه الحديث – من نحو الانسجام، والاتساق، والسبك والحبك، والنسج، والضم والتعليق، وغيرها من مصطلحات القدماء.

فسيبويه(ت١٨٠هـ) يتعرض في كتابه إلىٰ مسألة الألفاظ ونواحيها الدلالية، وموافقة اللفظ للواقع وقبوله أو عدم موافقته ورفضه، وكلها من معايير النصّيّة التي حددها العلماء حديثًا(١).

والجاحظ(ت ٢٥٥هـ) يتعرض في كتابه(البيان والتبيين) لمعيار الانسجام من خلال إيراد بعض أخبار الشعراء التي يفاد ذلك منها، فهذا يفضل ذاك لأن الأول يقول الشعر وأخاه، والثاني يقول الشعر وابن عمه، ويُعاب علىٰ ثالث أنه يقول ولكن ليس لشعره قران، أي تشابه وموافقة(٢)، كما يتعرض لمعيار الاتساق، ويستأنس لذلك

---

(١) يُنظر: باب الاستقامة من الكلام والإحالة في(الكتاب) لأبي بشر عمرو بن عثمان الملقب سيبويه. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط: مكتبة الخانجي، القاهرة-الثالثة ١٤٠٨ هـ-١٩٨٨ م. ١/ ٢٥ وما بعدها.

(٢) البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الشهير بالجاحظ. ط: دار ومكتبة الهلال بيروت-١٤٢٣ هـ-١/ ١٧٩.

ببيت أنشده إياه خلف: وبعض قريض القوم أولادُ علة[١]، ويعلق عليه قائلًا: " يقول: إذا كان الشعر مستكرها، وكانت ألفاظ البيت من الشعر لا يقع بعضها مماثلًا لبعض، كان بينها من التنافر ما بين أولاد العلات. وإذا كانت الكلمة ليس موقعها إلىٰ جنب أختها مرضيا موافقا، كان علىٰ اللسان عند إنشاد ذلك الشعر مؤونة"[٢]، ويضم المعيارين فيقول: " وأجـــــود الشعر ما رأيتـــــه متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراغًا جيدًا، وسبك سبكا واحدا، فهـــو يجري علىٰ اللســـــان كما يجري الدهان"[٣].

وأما إمام البلاغة **الشيخ عبد القاهر الجرجاني**(ت٤٧١هـ) فيتحدث في كتابه(دلائل الإعجاز) عن نظرية النظم التي ينتظم تحتها أهم معيارين للنصيّة وهما الشكل والدلالة أو بعبارة أخرىٰ الاتساق والانسجام، يقول فيه: إنّ " "النظْمَ" هو توخِّي معاني النحوِ في معاني الكلم، وأنَّ توخِّيها في متونِ الألفاظِ مُحال"[٤]؛ " لأنه ليس مِنْ عاقلٍ يَفْتَح عينَ قلبهِ، إلاَّ وهو يَعْلَمُ ضرورةَ أنَّ المعنىٰ في ضَمِّ بعضِها – أي الكلمات – إلىٰ بعْضٍ تعليقُ بعضِها ببعضٍ، وجَعْلُ بعْضِها بسَببٍ من بعض، لا أن ينطق بعضها في أَثر بعضٍ، مِنْ غير أنْ يكونَ فيما بينها تَعلُّقٌ، ويعْلمُ كذلك ضرورةً إِذا

---

(١) شطر بيت لأبي العاصي، وتمامه:

وبعـــض قـــريض القـــوم أولادُ علـــة يكـــدُّ لســـان الحـــافظ المـــتحفِّظ

وفيه إشارة إلىٰ قول النبي كما عند الإمام أحمد ١٦/ ١٨٠ ح(١٠٢٥٨): " الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّىٰ، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ "

(٢) البيان والتبيين ١/ ٧٥.

(٣) البيان والتبيين ١/ ٧٥.

(٤) البيان والتبيين ص ٣٦١.

فكرَّ، أنَّ التعلُّقَ يكونُ فيما بين معانيها، لا فيها بينها أَنفُسِها. ألا تَرىٰ أَنَّا لوْ جَهِدْنا كلَّ الجَهْدِ أَنْ نَتصَّورَ تعلُّقًا فيما بينَ لفظيــن لا معنىٰ تحتهمــا، لم نتصوَّر"(١)

ولهذا كله كان النظم عندهم "نظيرًا للنسج والتّأليفِ والصيـــاغةِ والبناءِ والوَشْيِ والتحبير وما أَشبَه ذلك، مما يُوجب اعتبارَ الأجزاءِ بَعْضِها معَ بعضٍ، حتىٰ يكونَ لوضعِ كلٍّ حيثُ وُضع، علةٌ تَقْتَضي كونَه هناك، وحتىٰ لو وُضِع في مكان غيره لم يصلح"(٢)، **والزمخشري**(ت ٥٣٨هـ) اعتنىٰ في تفسيره ببيان ترابط الآيات وتماسكها، بل إنه ليس أدل علىٰ تركيزه علىٰ مثل تلك الظاهرة من جعله إياها في بدايات تفسيره؛ إذ يقول في تفسير أول البقرة: "(الم) جملة برأسها، أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها. و(ذلِكَ الْكِتابُ) جملة ثانية. و(لا رَيْبَ فِيهِ) ثالثة. و(هُدىً لِلْمُتَّقِينَ) رابعة، وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم، حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق، وذلك لمجيئها متآخية آخذا بعضها بعنق بعض. فالثانية متحدة بالأولىٰ معتنقة لها، وهلم جرًّا إلىٰ الثالثة والرابعة"(٣).

ونرى **السُّهيليّ** (ت٥٨١هـ) يؤكد علىٰ أهمية اعتبار دور المتلقي في تحقيق معنىٰ النص، فيقول: " ولولا المُكَلّمُ المُخَاطَب ما احتيج إلىٰ التعبير عن الكلام القائم بالنفس بعبارة ولا إشارة، فعمدة الكلام الذي هو اللفظ إنما هو المُكلَّم المخاطب"(٤)، كما نرىٰ **أسامة بن منقذ**(ت ٥٨٤هـ) يعقد في كتابه(البديع في نقد الشعر) بابًا عنوانه(الفكّ والسبك)، قال فيه: " أما الفك فهو أن ينفصل المصراع

---

(١) السابق ص ٤٦٦.

(٢) السابق ص ٤٩.

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمرو الزمخشري. ط: دار الكتاب العربي – بيروت–الثالثة ١٤٠٧هـ. ١/ ٣٦ وما بعدها.

(٤) نتائج الفكر في النَّحو لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي. ط: دار الكتب العلمية – بيروت–الأولىٰ١٤١٢هـ–١٩٩٢ م. ص١٧٥.

الأول من المصراع الثاني، ولا يتعلق بشيء من معناه..... وأما السبك فهو أن تتعلق كلمات البيت بعضها ببعض من أوله إلىٰ آخره..... ولهذا قال: خير الكلام المحبوك الذي يأخذ بعضه برقاب بعض"[1]، **وابن أبي الإصبع**(ت ٦٥٤هـ) يبوّب في كتابه(تحرير التحبير) لـ(الانسجام)، يقول في تعريفه " وهو أن يأتي الكلام متحدرا كتحدر الماء المنسجم، سهولة سبك وعذوبة ألفاظ"[2]. **وابن هشام**(ت ٧٦١هـ) يقرر أن "الْقُرْآن كُله كالسورة الْوَاحِدَة وَلِهَذَا يذكر الشَّيْء فِي سُورَة وَجَوَابه فِي سُورَة أُخْرَىٰ"[3]، وتلك النظرة للقرآن الكريم هي التي أسس عليها **البقاعي**(٨٨٥هـ) تفسيره الموسوم بـ(نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسور) الذي بيّن فيه وجه ارتباط كل آيات السورة الواحدة، وعلاقة خاتمة السورة بفاتحة السورة التي تليها، وهكذا فعل غيره من المفسرين الذين عكفوا علىٰ استخراج مناسبات الآيات ووجه ترابطها، وعلىٰ أكتافهم قام(علم المناسبة) بما يشمله من أبواب عديدة، ومباحث شتىٰ، ليس التماسك النصي إلا واحدًا منها، إلىٰ غير ذلك مما زخرت به كتب علمائنا الأوائل مما يدل علىٰ بصرهم بمسألة تماسك النصوص، وإحاطتهم بمعاييرها مما لا يسع البحث استقصائها لضيق المقام ولبعدها عما أنيطت به الدراسة.

---

(١) البديع في نقد الشعر لأبي المظفر مجد الدين أسامة بن مرشد بن منقذ. تحقيق: علي مهنا. ط: دار الكتب العلمية – بيروت – الأولىٰ ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م. ص ٢٣٥ وما بعدها، وقد ذكر المحقق في حاشية التحقيق: أن لفظة المحبوك الواقعة في آخر النص قد وقعت في إحدىٰ نسخ المخطوط بلفظ(المسبوك)، وهو الذي يتفق مع ما بوّب له ابن منقذ وما شمله كلامه(الفك والسبك)، إلا أن يكون السبك والحبك عنده مترادفين.

(٢) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لعبد العظيم بن أبي الإصبع المصري. تقديم وتحقيق: د/ حفني محمد شرف. ط: المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية- لجنة إحياء التراث الإسلامي. ص ٤٢٩.

(٣) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لأبي محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن هشام. تحقيق: د. مازن المبارك، محمد علي حمد الله. ط: دار الفكر – دمشق-السادسة ١٩٨٥م. ص ٣٢٨.

ثالثًا: نبذة عن آية الكرسي:

هي الآية الخامسة والخمسون بعد المائتين من سورة البقرة، كلماتها خمسون.

فضلها:

١- **هي سيدة آي القرآن وأعظم آية فيه**، وذلك لما رواه الإمام مسلم في صحيحه من حديث أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ: صلىٰ الله عليه وسلم «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟ قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟ قَالَ: قُلْتُ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ، أَبَا الْمُنْذِرِ»[(١)]، وإنما كانت آية الكرسيّ أعظم آية في كتاب الله " لما اشتملت عليه من أسماء الذات والصفات والأفعال، ونفي النقص وإثبات الكمال، ووفت به من أدلة التوحيد علىٰ أتم وجه في أحكم نظام وأبدع أسلوب متمحضة لذلك، فإن فضل الذكر والعلم يتبع المذكور والمعلوم، وقد احتوت علىٰ الصفات السبع: الحياة والعلم والقدرة والإرادة والكلام صريحًا، فإن الإذن لا يكون إلا بالكلام والإرادة، وعلىٰ السمع والبصر من لازم ﴿ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾، ومن لازم ﴿ ٱلْحَيُّ ﴾ لأن المراد الحياة الكاملة؛ وكررت فيها الأسماء الشريفة ظاهرة ومضمرة سبع عشرة مرة بل إحدىٰ وعشرين، ولم يتضمن هذا المجموع آية غيرها في كتاب الله "[(٢)]، قال ابن

---

(١) صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري(ت٢٦١ هـ). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي(ت ١٣٨٨ هـ)، ط: مطبعة عيسىٰ البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٧٤ هـ-١٩٥٥ م-كِتَاب صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا-باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي(٢/ ١٩٩)، ح(٨١٠)

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي(ت ٨٨٥ هـ-١٤٨٠ م)، ط: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الهند، الأولىٰ،(١٣٨٩-١٤٠٤ هـ)(١٩٦٩-١٩٨٤ م)، ٤/ ٣٩.

القيم الجوزية: "ومعلوم أن كلامه الذي يثني علىٰ نفسه به، ويذكر فيه أوصافه وتوحيده أفضل من كلامه الذي يذم به أعداءه ويذكر أوصافهم ولهذا كانت سورة الإخلاص أفضل من سورة تبت وكانت تعدل ثلث القرآن دونها وكانت آية الكرسي أفضل آية في القرآن"(١).

٢-من قرأها في ليلة فإنه لن يزال عليه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح، وذلك لما رواه الإمام البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: وَكَّلَنِي رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ، فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ وَقُلْتُ: وَاللهِ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم، قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ.... الحديث، وفيه أنه قال: " دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهَا، قُلْتُ مَا هُوَ؟ قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَىٰ فِرَاشِكَ، فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُۚ﴾ حَتَّىٰ تَخْتِمَ الْآيَةَ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّىٰ تُصْبِحَ" فلما قصّ أبو هريرة كلامه للنبي صلىٰ الله عليه وسلم قال له: "أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ"(٢).

---

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية(ت ٧٥١هـ)، ط: دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ص٢٧٢.

(٢) صحيح البخاري لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفىٰ ديب البغا، ط: دار ابن كثير، دار اليمامة-دمشق، الخامسة، ١٤١٤ هـ-١٩٩٣ م-كتاب الوكالة-بَاب: إِذَا وَكَّلَ رَجُلًا، فَتَرَكَ الْوَكِيلُ شَيْئًا فَأَجَازَهُ الْمُوَكِّلُ فَهُوَ جَائِزٌ، وَإِنْ أَقْرَضَهُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّىٰ جَازَ-٢/ ٨١٢ وما بعدها - ح(٢١٨٧).

مناسبتها لما قبلها:

قال أبو حيان الأندلسي: " وَمُنَاسَبَةُ هَذِهِ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا أَنَّهُ تَعَالَىٰ لَمَّا ذَكَرَ أَنَّهُ فَضَّلَ بَعْضَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَىٰ بَعْضٍ، وَأَنَّ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَهُ، وَفُسِّرَ بِمُوسَىٰ عليه السلام، وَأَنَّهُ رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ، وَفُسِّرَ بِمُحَمَّدٍ صلىٰ الله عليه وسلم، وَنَصَّ عَلَىٰ عِيسَىٰ عليه السلام، وَتَفْضِيلُ الْمَتْبُوعِ يُفْهَمُ مِنْهُ تَفْضِيلُ التَّابِعِ، وَكَانَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ قَدْ أَحْدَثُوا بَعْدَ نَبِيِّهِمْ بِدَعًا فِي أَدْيَانِهِمْ وَعَقَائِدِهِمْ، وَنَسَبُوا اللهَ تَعَالَىٰ إِلَىٰ مَا لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم بُعِثَ إِلَىٰ النَّاسِ كَافَّةً، فَكَانَ مِنْهُمُ الْعَرَبُ، وَكَانُوا قَدِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً وَأَشْرَكُوا، فَصَارَ جَمِيعُ النَّاسِ الْمَبْعُوثُ إِلَيْهِمْ صلىٰ الله عليه وسلم عَلَىٰ غَيْرِ اسْتِقَامَةٍ فِي شَرَائِعِهِمْ وَعَقَائِدِهِمْ، وَذَكَرَ تَعَالَىٰ أَنَّ الْكَافِرِينَ هُمُ الظَّالِمُونَ، وَهُمُ الْوَاضِعُونَ الشَّيْءَ غَيْرَ مَوَاضِعِهِ، أَتَىٰ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْعَظِيمَةِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ إِفْرَادِ اللهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ، وَالْمُتَضَمِّنَةِ صِفَاتِهِ الْعُلَا مِنَ: الْحَيَاةِ، وَالِاسْتِبْدَادِ بِالْمُلْكِ، وَاسْتِحَالَةِ كَوْنِهِ مَحَلًّا لِلْحَوَادِثِ، وَمُلْكِهِ لما في السموات وَالْأَرْضِ، وَامْتِنَاعِ الشَّفَاعَةِ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَسِعَةِ عِلْمِهِ، وَعَدَمِ إِحَاطَةِ أَحَدٍ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِإِرَادَتِهِ، وَبَاهِرِ مَا خَلَقَ مِنَ الْكُرْسِيِّ الْعَظِيمِ الِاتِّسَاعِ، وَوَصْفِهِ بالمبالغة الْعُلُوِّ وَالْعَظَمَةِ، إِلَىٰ سَائِرِ مَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ وَصِفَاتِهِ الْعُلَا، نَبَّهَهُمْ بِهَا عَلَىٰ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ الَّتِي هِيَ مَحْضُ التَّوْحِيدِ، وَعَلَىٰ طَرْحِ مَا سِوَاهَا".

المبحث الأول: التماسك النصي عن طريق العطف

تدور كلمة(العطف) في اللغة حول معنىٰ الثني والميل والرجوع(١)، ومنه سمي باب العطف في النحو لأن المعطوف يرجع إلىٰ المعطوف إليه في المعنىٰ والإعراب. ولحروف العطف أهمية بالغة في تحقيق الترابط بين أجزاء النص المتباعدة، والتأليف بينها علىٰ الوجه الذي يحصل به قبول المتلقي ورضاه عن النص، ولا تقتصر وظيفة العطف علىٰ عمله الشكلي في ضم الشيء إلىٰ الشيء، وإنما للعطف وظائف دلالية لا يمكننا إغفالها، فالواو – مثلًا– تؤدي معنىٰ الشك في سياق، ومعنىٰ المراوحة بين شيئين أو فعلين في سياق آخر، ومعنىٰ المخالفة في سياق ثالث، وهكذا(٢)، كما أن العطف يعمل علىٰ شحذ ذهن المتلقي ويستحثه علىٰ التأمل في المعنىٰ المراد للوقوف علىٰ العلاقة القائمة بين المفردات أو الجمل المتعاطفة؛ إذ لا بد في كل عطف من وجه يجمع المتعاطَفينِ، ومناسبة تؤلف بينهما، ولذا قال الشيخ عبد القاهر: ".. فإنا نرىٰ أمرًا آخرَ نحصُلُ معه علىٰ معنىٰ الجمعِ، وذلك أنّا لا نقول: "زيد قائم وعمرو قاعد"، حتىٰ يكون عمرو بسبب من زيدٍ، وحتىٰ يكونا كالنَّظيرينِ والشريكَيْنِ، وبحيث إذا عرفَ السامُع حالَ الأوَّل عناه أن يعرفَ حالَ الثاني"(٣).

---

(١) يُنظر: لسان العرب. ٩/ ٢٤٩–مادة عطف.

(٢) يُنظر: منازل الرؤية: منهج تكاملي في قراءة النص. سمير شريف استيتية. ط: دار وائل – عمان – الأولىٰ ٢٠٠٣م. ١٤٥–١٥١.

(٣) دلائل الإعجاز ص ٢٥٥.

وأشهر حروف العطف التي تناولها النحويون والبلاغيون (الواو، الفاء، ثم) لأنها جميعًا تفيد الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه؛ إلا أن كل حرف منها ينفرد بمعنىٰ خاص زائد علىٰ معنىٰ الجمع.

والمتأمل في آية الكرسي – التي هي محل الدراسة –يجد انفراد العطف بالواو بالحضور فيها، فليس في الآية عطف إلا بالواو، وما ذاك إلا لأنها أم الباب، وأكثر الوسائل الحرفية تحقيقًا للتماسك، وأبرزها في الربط بين أطراف الكلام، فلا عجب إذا أن تكون هي المنفردة من بين أخواتها بالحضور في تلك الآية الكريمة العظيمة الفضل الملقبة بسيدة آي القرآن الكريم.

والعطف بالواو في الآية الكريمة أتى في إحدى صورتين: الأولىٰ: عطف المفردة علىٰ أختها، وقد وقع ذلك في ثلاثة مواضع، والصورة الثانية: عطف الجملة اللاحقة علىٰ الجملة السابقة، وقد جاء في مواضع ثلاث أيضًا، وسيتناول البحث تفصيل القول في كل صورة منهما، وفي دور الواو في تحقيق التماسك بين المتعاطفات بها في المطلبين الآتيين.

المطلب الأول: عطف المفردات بالواو

تأتي الواو العاطفة بين المفردات لتجمع شتاتها تحت لواء معنىٰ أو حكم واحدٍ، فتشرك المعطوف والمعطوف عليه في ذلك المعنىٰ فحسب، فلا تفيد -عند إطلاقها - سوىٰ مطلق الجمع بينهما من غير دلالة علىٰ ترتيب زمني بينهما وقت وقوعه ولا تعقيب أو مهلة أو مصاحبة.

والمتأمل في آية الكرسي يجد وقوع العطف بها بين المفردات في ثلاثة مواضع، هي علىٰ الإجمال: قوله تعالىٰ: ﴿ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾، وقوله﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾، وقوله: ﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ ﴾

فأما الموضع الأول وهو قوله تعالى: ﴿ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ ﴾ففيه نفىٰ الله تعالىٰ عن نفسه أن يأخذه – أي يصيبه – أمران: الأول: السِّنة، وأصلها: الوسن، والهاءُ فيها عِوَض عَن الواوِ المَحْذوفَةِ، والوسن: "اخْتِلَاط النّوم بِالْعينِ قبل استحكامه"(١)، وقيل هو " النعاس"(٢).

---

(١) جمهرة اللغة لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي(ت ٣٢١هـ). تحقيق: رمزي منير بعلبكي. ط: دار العلم للملايين – بيروت. الأولىٰ، ١٩٨٧م. ٢/ ٨٦٣. مادة سنو.

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ٦/ ٢٢١٤ – وسن، مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبي الحسين(ت ٣٩٥هـ). تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط: دار الفكر. ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م. ٦/ ١١١-وسن، المخصص لأبي الحسن علي بن إسماعيل ابن سيده المرسي(ت ٤٥٨هـ). تحقيق: خليل إبراهيم جفال. ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت. الأولىٰ، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م. ٤/ ٤٨٠، وقال صاحب تاج العروس: "والنُّعَاسُ: مَقَدِّمَةُ النَّوْم، وَهُوَ رِيحٌ لَطِيفَةٌ، تَأْتِي مِنْ قِبَل الدِّمَاغِ، تُغَطِّي عَلَىٰ العَيْنِ، وَلَا تَصِلُ إِلَىٰ القَلْبِ، فَإِذَا وَصَلَتْ إِلىٰ القَلْبِ، كَانَ نَوْمًا". تاج العروس من جواهر القاموس لمحمّد مرتضىٰ الحسيني الزَّبيدي. تحقيق: جماعة من المختصين. من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت-المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت. ٣٤/ ١٣-مادة(نوم).

والتحقيق أنه مرتبة أعلىٰ من النعاس؛ إذ إن النعاس أول النوم، والوسن ثقل النعاس(١).

وأما الأمر الثاني الذي نفاه – سبحانه – عن نفسه: فهو النوم: وهو معروف، قال ابن فارس: «النُّونُ وَالْوَاوُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَىٰ جُمُودٍ وَسُكُونِ حَرَكَةٍ»(٢)، وهو "رَاحَة للبدن وَالْعقل تغيب خلالها الْإِرَادَة والوعي جزئيا أَو كليا وتتوقف فِيهَا جزئيا الْوَظَائِف الْبَدَنِيَّة"(٣).

ومن خلال تعريفهما من معاجم اللغة يتضح أن كلًّا منهما يُخرِج صاحبه عن اليقظة والوعي، فلا يستطيع القيام علىٰ ما يقوم به ولا حفظه، وهذا معنىٰ محال عليه – سبحانه – " لأنّه آفة ولا يجوز عليه الآفات ولأنّه تغيّر ولا يجوز عليه تغيّر الأحوال، ولأنّه قهر والله تعالىٰ قاهر غير مقهور، ولأنّه للاستراحة ولا يناله تعب فيسترح ولأنّه

---

(١) قال الثعالبي في مراتب النوم: "أَوَّلُ النَّوْم النُّعَاسُ وهُوَ أَنْ يحْتَاجَ الإنْسَانُ إلىٰ النَوْم. ثُمَّ الوَسَن وهو ثِقَل النُّعاسِ. ثُمَّ اَلتَّرْنِيقُ وهو مُخالَطَةَ النُّعاسِ العَيْنَ. ثُمَّ اَلكَرَىٰ والغُمْضُ وهُوَ أنْ يَكُونَ الإنسانُ بين النَّائِم واليَقْظَانِ. ثُمَّ التَّغْفِيقُ وهو النَّوْمُ وأنْتَ تَسْمَع كَلَامَ القَوْم عَنِ الأَصْمَعِيّ. ثُمّ الإغْفَاءُ وهُوَ النَّوْمُ الخَفِيف. ثُمَّ التَّهْوِيمُ والغِرَارُ والتَّهْجَاعُ وهُوَ النَّوْمُ القَلِيلُ. ثُمَّ الرُّقَادُ وهوَ النَّوْمُ الطَّوِيلُ. ثُمَّ الهُجُودُ والهُجُوعُ والهُبُوغ وهُوَ النَّوْمُ الغَرقُ. ثُمَّ التَّسْبِيخُ وهو أَشَدُّ النَّوْمِ عَنْ أبي عُبَيْدَة عَنِ الأَصْمَعِيّ الأَمَوِيّ". فقه اللغة وسر العربية لعبد الملك ابن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي(ت ٤٢٩هـ). تحقيق: عبد الرزاق المهدي. ط: إحياء التراث العربي. الأولىٰ ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م. ص١٢٥.

(٢) مقاييس اللغة ٥/ ٣٧٢ – نوم.

(٣) المعجم الوسيط ٢/ ٩٦٥-نوم.

أخو الموت"[١]، ولأنه – سبحانه – ذكر في الجملة قبلها أنه﴿ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾أي القائم بتدبير شؤون جميع خلقه، فأنىٰ لذلك المدبر أن يغفل أو ينام!

وقد عطف – سبحانه–(النوم) علىٰ(السنة) مع أن نفي السنة – وهي أول النوم – نفي للنوم من باب أولىٰ؛ للتأكيد علىٰ كمال حياته وتمام قيومته تأكيدًا نابعًا من نفي النوم عنه مرتين: أولاهما بدخوله بطريق الأولىٰ في نفي السنة[٢]، وثانيهما بنفيه الصريح، وهذا ولا شك أدعىٰ للمبالغة في التأكيد بعلىٰ حياته الأزلية وقيومته الدائمة، أضف إلىٰ ذلك مجيء المسند إليه (سِنَة)،(نَوم) منكّرًا في سياق النفي ليعمّ كل سنة صغيرة كانت أو كبيرة وكل نوم خفيف هو أو ثقيل.

وكان لواو العطف هنا دور واضح في الربط بين الفاعلينِ وإحكام الوثاق ين أجزاء الجملة الواقعان فيها، والاستغناء بها عن إعادة العامل، وقد أدىٰ العطف بها دوره في إفادة المبالغة والتأكيد علىٰ تنزيهه – سبحانه – عن كل "ما يعتري

---

(١) الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبي إسحاق (ت ٤٢٧هـ). تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور. مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي. ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان. الأولىٰ ١٤٢٢، هـ–٢٠٠٢ م. ٢/ ٢٣١.

(٢) هذا علىٰ أن ذكر النوم بعد السنة من باب التتميم وهو أبلغ، وهناك من المفسرين من جعله من الترقي مِنْ نَفْيِ الْأَضْعَفِ إِلَىٰ نَفْيِ الْأَقْوَىٰ، قالوا: " وَمَنْ لَا تَغْلِبُهُ السِّنَةُ قَدْ يَغْلِبُهُ النَّوْمُ لِأَنَّهُ أَقْوَىٰ، فَذِكْرُ النَّوْمِ بَعْدَ السِّنَةِ تَرَقٍّ مِنْ نَفْيِ الْأَضْعَفِ إِلَىٰ نَفْيِ الْأَقْوَىٰ". يُنظر: تفسير المنار= تفسير القرآن الحكيم لمحمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت ١٣٥٤هـ). ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٠ م. ٣/ ٢٦، تفسير المراغي لأحمد بن مصطفىٰ المراغي (ت ١٣٧١هـ). ط: مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي وأولاده بمصر. الأولىٰ، ١٣٦٥هـ–١٩٤٦م. ٣/ ١٢.

المخلوقينَ من السَّهو والغَفْلةِ والملالِ والفترة في حفظ ما هو قائمٌ بحفظه"[(١)]، فلا يَعْرِضُ له – سبحانه – من عوارِضُ التعبِ ما يحوجه إلىٰ الراحة فيستريح بالنومِ والسِّنَة[(٢)].

وأما الموضع الثاني وهو قوله تعالى: ﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ ففيه تقدّم الجار والمجرور الواقع مسندًا لإفادة القصر، وجاء المسند إليه اسمًا موصولًا عامًّا ليعمّ كل من في السماوات والأرض من العقلاء وكل ما فيهما من غيرهم، والمعنىٰ: أنه – سبحانه – هو المتفرّد بملك كل ما سواه مما اشتملت عليه السماوات والأرض، "فكل من فيهما وما فيهما ملكه وعبيده، خاضعون لمشيئته، وهو المصرف لشؤونهم والحافظ لوجودهم"[(٣)].

وللعطف بالواو هنا – أعني: عطف(ما في الأرض) علىٰ(ما في السماوات) – دور لا يُغفل في تحقيق التماسك والتلاحم بين أجزاء الجملة حيث ربطت هذه الواو بين عالَمَيْنِ – لا ثالث لهما – أحدهما علوي والآخر سُفليّ، وجمعتهما تحت ملك الله – تعالىٰ – فأفاد العطف بها أمرين: الأول: شمول ملكه – تعالىٰ – وعمومه لكل ما سواه، والثاني– وهو مترتب علىٰ الأول: الاستدلال علىٰ تفرُّده بالإلهية واستحقاقه

---

(١) التيسير في التفسير لنجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي (٤٦١-٥٣٧ هـ). تحقيق: ماهر أديب حبوش، وآخرون. ط: دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث، اسطنبول – تركيا. الأولىٰ، ١٤٤٠ هـ-٢٠١٩ م. ٣/ ٣٢٥.

(٢) ينظر: السابق نفسه.

(٣) تفسير المراغي ٣/ ١٢.

وحده العبودية المذكورة في مطلع الآية في الجملة السابقة(آللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ)؛ لأن المتفرّد بالخلق والملك والتدبير هو وحده المستحق للعبادة.

وأما الموضع الثالث لعطف المفردات بالواو في الآية الكريمة فهو قوله تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ﴾، والضميران في قَوْله تَعَالَىٰ:(أَيْدِيهِمْ، خَلْفَهُمْ) "عَائِدَانِ عَلَىٰ كُلِّ مَنْ يَعْقِلُ مِمَّنْ تَضَمَّنَهُ قَوْلُهُ:(لَهُ مَا فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ)"[1]، "وفي المراد بـ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَما خَلْفَهُمْ ثلاثة أقوال: أحدها: أن الذي بين أيديهم أمر الآخرة، والذي خلفهم أمر الدنيا، روي عن ابن عباس، وقتادة. والثاني: أن الذي بين أيديهم الدنيا، والذي خلفهم الآخرة، قاله السدي عن أشياخه، ومجاهد، وابن جريج، والحكم بن عتيبة. والثالث: ما بين أيديهم: ما قبل خلقهم، وما خلفهم: ما بعد خلقهم، قاله مقاتل"[2]، وقال الآلوسي في تفسير ذلك: " أي يعلم ما كان قبلهم من أمور الدنيا وما يكون بعدهم من أمر الآخرة، أو ما بين أيديهم: يعنىٰ الآخرة لأنهم يقدمون عليها، وما خلفهم: الدنيا لأنهم يخلفونها وراء ظهورهم، أو ما بين أيديهم من السماء الىٰ الأرض وما خلفهم يريد ما في السموات، أو ما بين أيديهم بعد انقضاء آجالهم وما خلفهم أي ما كان قبل أن يخلقهم أو ما فعلوه من خير وشر

---

(١) تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. ط: دار الكتب المصرية – القاهرة. الثانية. ١٣٨٤ هـ-١٩٦٤ م. ٣/ ٢٧٦.

(٢) زاد المسير في علم التفسير لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ). تحقيق: عبد الرزاق المهدي. ط: دار الكتاب العربي – بيروت. الأولىٰ- ١٤٢٢ هـ. ١/ ٢٢٩.

وقدموه وما يفعلونه بعد ذلك"[١]، ولا تعارض بين هذه الآراء جميعها إذ كلها تلتقي في الدلالة علىٰ إثبات علمه – تعالىٰ – لكل ما فات وكل ما هو آت.

ولا يخفىٰ علىٰ كل ذي لُبٍّ ما لواو العطف في الجملة الكريمة – مع ما اتصل بها من إحالة قبلية – من قيمة سامية في تحقيق التماسك بين أجزاء الجملة من جهة، وربطها بما قبلها من جهة ثانية؛ حيث ربطت هذه الواو بين الضدين وجمعتهما تحت لواء الفعل(يعلم) مما أسهم في الدلالة علىٰ سعة علمه – تعالىٰ – وشموله، فثبت له – سبحانه – بواسطة تلك الواو علم ما كان وعلم ما سيكون في السماوات وفي الأرض من أمري الدنيا والآخرة، وذلك بمعونة ضميري الغيبة – في معطوفَيْها – المحال بهما إلىٰ كل ما في السماوات والأرض المذكور في الجملة قبلها(لَهُ مَا فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ).

[١] روح البيان لإسماعيل حقي بن مصطفىٰ الإستانبولي الحنفي الخلوتي(ت ١١٢٧هـ). ط: دار الفكر – بيروت.١/ ٤٠٢.

المطلب الثاني: عطف الجمل بالواو

من المعلوم أن البلاغيين عقدوا في كتبهم بابا أسموه(باب الفصل والوصل) أقاموه علىٰ إظهار العلاقة بين الجملتين المتتاليتين، ثم نظروا في هذه العلاقة فجعلوها نوعين: علاقة توجب الوصل بين الجملتين بواو العطف، وأخرىٰ توجب الفصل بينهما، والحقيقة أن هذا الكلام الذي قاله علماؤنا الأوائل هو ذاته ما وضعه علماء النص حديثًا نصب أعينهم حين تكلموا عن التماسك النصي والترابط الدلالي بين الجمل؛ إذ جعلوا(العطف)،(الحذف) أحد - بل أهم - أدوات التماسك النصي المتفق عليها التي يحصل بها الالتحام والانسجام داخل النص، فيصير بها وحدة متماسكة متلائمة أشد التلاؤم كأنها جملة واحدة.

وعند التأمل في آية الكرسي يجد القارئ أنها بنيت علىٰ جمل كثيرة، ما من جملتين متتاليتين فيها إلا وتتماسكان وتتلاحمان إما عن طريق عطف بالواو أو حذف لها وهو الأغلب والأكثر ورودًا في الآية، فأما الجمل التي حُذف العاطف بينها فسوف يتناولها البحث في مبحث الحذف مع صور أخرىٰ للحذف في الآية تبعًا لتقسيم مادة البحث باعتبار أدوات التماسك النصي، وأما الجمل المعطوفة بالواو فهي التي يدور عليها الحديث في هذا المطلب إن شاء الله تعالىٰ.

وقد ورد العطف بالواو بين الجمل في ثلاثة مواضع من الآية الكريمة، هي علىٰ الإجمال: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾، ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ ﴾، ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾

فأما الموضع الأول لعطف الجمل في الآية الكريمة فهو قوله تعالى:

﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ ﴾، وفيه عطفت الخبرية المضارعة علىٰ مثلها، وتقدم القول في مرجع الضمير في ﴿أَيۡدِيهِمۡ، خَلۡفَهُمۡۖ ﴾وأن المعنىٰ في الجملة الأولىٰ: إحاطة علمه تعالىٰ بما كان وما سيكون من جميع خلقه من في السماوات ومن في الأرض منهم إلىٰ قيام الساعة.

وأما الجملة الثانية المعطوفة ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ ﴾فلا زال الحديث فيها عن هؤلاء المخلوقين حيث نفىٰ الله – سبحانه وتعالىٰ – عنهم أي إحاطة بشيء من علمه – كثيرًا كان أو قليلًا – لم يُعلمهم إياه، وهي وإن كانت عامة في جميع الخلق إلا أن سياق الآية قبلها يرشدنا إلىٰ أن فيها تعريضًا بأولئك المشركين الذين ظنوا أن آلهتهم تمنعهم من الله، وأنهم يشفعون لهم يوم القيامة؛ حيث أنكر الله عليهم تلك الشفاعة بقوله قبل هذين الجملتين: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ ﴾، ثم جاء هنا ليؤكد أن إذنه هذا جزء من علمه الذي لا يحيط به أحد إلا بإذنه، وإذنه يُعلم بالوحي، ولم يرد في الوحي إذن لهم بذلك، ومن ثم بطلت شفاعتهم المزعومة.

قال الإمام البقاعي: "ولما بين قهره لهم بعلمه بين عجزهم عن كل شيء من علمه إلا ما أفاض عليهم بحلمه فقال: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ﴾ [أي قليل ولا كثير ﴿ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾ فبان بذلك ما سبقه، لأن من كان شامل العلم ولا يعلم غيره إلا ما علمه كان كامل القدرة، فكان كل شيء في قبضته، فكان منزَّهًا عن الكُفء متعاليًا عن

كل عجز وجهل، فكان بحيث لا يقدر غيره أن ينطق إلا بإذنه لأنه يسبب له ما يمنعه مما لا يريده"[1].

وأما وجه العطف بين الجملتين (يعلم..، ولا يحيطون..) فيتمثل في أن الأولىٰ أثبتت إحاطة علمه تعالىٰ بجميع خلقه، والثانية نفت أن يشاركه في شيء من علمه هذا أحد إلا بإذنه، الأولىٰ أفادت علمه المحيط، والثانية دلت علىٰ اختصاصه به، فالمناسبة بينهما واضحة والجامع بيّن ظاهر.

وأما عن دور العطف هنا في تحقيق التماسك النصي في الآية الكريمة فالحقيقة أننا لا يمكن أن نخصّ الواو هنا بالدور الفريد في الربط بين الجملتين ومن ثم ربطهما بما قبلهما؛ إذ تعاضدت معها في ربط هذه الجملة بالتي قبلها روابط أخرىٰ كالإحالة بالضمائر إلىٰ الجملة قبلها ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ﴾المحال بضمائرها هي الأخرىٰ إلىٰ الجملة قبلها (له ما في السماوات وما في الأرض)، وكالرابط المعنوي بين الجملة المعطوف عليها والتي قبلها، إلا أننا لا ننكر أن للواو هنا الدور الأبرز في الربط بين الجملة الواقعة فيها والجمل قبلها؛ إذ هي الحلقة الجامعة بين جملتين ترابطت الجمل قبلهما برباط قوي ووثاق محكم، وهي الجسر المتين الذي عبرت عليه الجملة المعطوفة بها إلىٰ الجمل قبلها حتىٰ بداية الآية الكريمة.

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي(ت ٨٨٥ هـ-١٤٨٠ م). ط: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد-الهند. تحت مراقبة: د محمد عبد المعيد خان أستاذ آداب اللغة العربية بالجامعة العثمانية، ومدير دائرة المعارف العثمانية. الأولىٰ،(١٣٨٩-١٤٠٤ هـ)(١٩٦٩-١٩٨٤ م). ٤/ ٣٢ وما بعدها.

الموضع الثاني لعطف الجمل في الآية الكريمة:

العطف في قوله تعالىٰ: ﴿ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ ﴾، و(الكرسيّ) المذكور في الجملة الأولىٰ اختلف فيه المفسرون، فقال بعضهم: هو علم الله تعالىٰ، وقال آخرون: هو ملك الله، وقال آخرون: هو العرش، وقال غيرهم: هو دون العرش، والذي عليه الأكثرون، "وَالَّذِي تَقْتَضِيهِ الْأَحَادِيثُ أَنَّ الْكُرْسِيَّ مَخْلُوقٌ عَظِيمٌ بَيْنَ يَدَيِ الْعَرْشِ، وَالْعَرْشُ أَعْظَمُ مِنْهُ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم: "مَا السموات السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ"، وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم يَقُولُ: مَا الْكُرْسِيُّ فِي الْعَرْشِ إِلَّا كَحَلَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ فِي فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ"(١).

وفي هذه الجملة أخبر الله – سبحانه وتعالىٰ – عَنْ عَظَمة أحد مَخْلُوقَاتِه وهو الكرسيّ؛ إذ وسع كرسيه – أي احتمل وأطاق – السموات والأرض علىٰ سعتهما وعظمة خلقهما(٢)، ثم أخبر في الجملة الثانية أنه "لا يثقل عليه حفظ السموات

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. لأبي محمد عبد الحق ابن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي(ت ٥٤٢هـ). تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. ط: دار الكتب العلمية – بيروت. الأولىٰ-١٤٢٢هـ.

(٢) يُنظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي(ت ٤٦٨هـ). تحقيق: صفوان عدنان داوودي. ط: دار القلم ٱ الدار الشامية-دمشق، بيروت. الأولىٰ، ١٤١٥ هـ. ص١٨٢، مفاتيح الغيب = التفسير الكبيرلأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي(ت ٦٠٦هـ). ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت. الثالثة-١٤٢٠هـ. ٧/ ١٢.

والأرض"[1] وما فيهما وما بينهما، ولا يشق عليه القيام بأمرهما وتدبير شؤونهما، وهذا يستلزم كمال القدرة وتمامها.

والمتأمل في الآية الكريمة يتبين له عودة الضمير المثنىٰ في الجملة المعطوفة(ولا يؤده حفظهما) إلىٰ السموات والأرض وما فيهما مما شمله قوله(له ما في السماوات والأرض)، كما يتبين له أن تمام المعنىٰ وكماله يقتضي ألا تكون معطوفة علىٰ سابقتها الملاصقة لها وهي جملة (وسع كرسيه)، وإنما العطف فيها واقع علىٰ جملة (له ما في السماوات والأرض) وما تلاها من جمل، وبيان ذلك: أن جملة (له ما في السموات وما في الأرض) تضمنت الدلالة علىٰ اختصاصه -تعالىٰ- بصفة الملك وسعته أيضًا، وما بعدها من الجمل جاء متمِّمًا لتلك الدلالة مفيدًا لما تقتضيه؛ فتاليتها - وهي جملة (من ذا الذي يشفع) - أثبتت له – سبحانه- لازم ذلك الملك وهو كمال التصرف فيما يملك، فلا يكون لأحد حكم في ملكه إلا بإذنه، وإذنه هذا جزء من علمه الذي جاءت الجملتان الثالثة (يعلم ما)، وما عطف عليها (ولا يحيطون) لتثبتا سعته وإحاطته، وأما الخامسة (وسع كرسيه) فقد أثبتت له عظمة مملوكاته ومخلوقاته وكبر حجمها، ولما كانت سعة الملك وعظمة المملوك لا تغني المالك شيئًا دون القدرة علىٰ حفظها جاءت جملة (ولا يؤده حفظهما) معطوفة علىٰ جملة(له ما في السماوات وما في الأرض) وما تبعها من الجمل لتؤكد علىٰ اتصافه – سبحانه –

---

[1] تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر، محمد بن جرير الطبري(٢٢٤-٣١٠هـ). توزيع: دار التربية والتراث-مكة المكرمة. بدون تاريخ نشر ٥/ ٤٠٥.

بكمال القدرة وتمامها[1]؛ حيث لا يشق عليه ولا يثقله حفظ جميع ما وقع عليه ملكه من السموات والأرض وما فيهما وما بينهما من مخلوقات علىٰ كثرتها وعظمتها، وبذلك تتبين لنا قيمة هذه الواو العاطفة في تحقيق التماسك النصي والترابط الدلالي بين هذه الجمل الست؛ حيث جعلتها جميعًا كجملة واحدة حين ربطت أولها بسادسها برباط متين ووثاق محكم.

وأما العطف الأخير بين الجمل في الآية الكريمة فهو عطف تذييل الآية ﴿ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾على ما سبق من جملها؛ إذ جاءت لتجمع له – سبحانه – صفات العلو والعظمة مع ما سبق له في الآية من صفات الكمال والجلال.

و(**العلي العظيم**) صفتان مشبهتان تفيدان الثبوت والدوام فلا تنفكان عنه – جل وعلا، وتعريفهما مع تعريف المسند إليه قبلهما يفيد الحصر، أي اختصاصه – تعالىٰ – بالاتصاف بهما دون من سواه، ومعنىٰ(**العليّ**) أن جميع "معاني العلو ثابتة لله من كل وجه، فله علو الذات فإنه فوق المخلوقات، وعلىٰ عرشه استوىٰ، أي علا وارتفع، وله علو القدر، وهو علو صفاته وعظمتها، فلا يماثله صفة مخلوق، بل لا يقدر الخلائق كلهم أن يحيطوا ببعض معاني صفة واحدة من صفاته، قال تعالىٰ: ﴿ وَلَا

---

(1) قال الإمام ابن تيمية: "قوله: {وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا} أي لا يكرثه ولا يثقله، وذلك مستلزم لكمال قدرته وتمامها. بخلاف المخلوق القادر إذا كان يقدر علىٰ الشيء بنوع كلفة ومشقة، فإن هذا نقص في قدرته، وعيب في قوته". التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي(ت ٧٢٨ هـ). تحقيق: د. محمد بن عودة السعوي. ط: مكتبة العبيكان – الرياض. السادسة ١٤٢١هـ-٢٠٠٠ م. ص ٥٨.

﴿ يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [طه:١١٠]، وبذلك يُعلم أنه ليس كمثله شيء في كل نعوته، وله علو القهر، فإنه الواحد القهار الذي قهر بعزّته وعلوه الخلق كلهم، فنواصيهم بيده، وما شاء كان لا يمانعه فيه مانع، وما لم يشأ لم يكن"(١)، و(العظيم): "ذُو الْعَظَمَـةِ الَّذِي كُلُّ شَيْءٍ دُونَهُ، فَلَا شَيْءَ أَعْظَمُ مِنْه"(٢).

والمتأمل في الآية الكريمة يتبين له أن هذه الجملة معطوفة علىٰ جميع ما سبق من جمل الآية الكريمة، مناسبة لجميع دلالاتها، ووجه ذلك: أنه – سبحانه – لما بيّن وحدانيته (الله لا إله إلا هو)، وكمال حياته وقيوميته (الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم)، وتفرُّده بسعة الملك ﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾، وتمام ملكه وسلطانه ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾، وسعة علمه وشموليته ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾، وعظمة مخلوقاته ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾، وكمال قدرته وحفظه ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ﴾ مما يثبت له سبحانه – التفرُّد بصفات الجلال والكمال، وينزهه عن كل نقص وعيب – لما بيّن ذلك – و"لم يكن علوه وعظمته بالقهر والسلطان والإحاطة بالكمال منحصرًا فيما تقدم عطف عليه قوله: (وهو) أي مع ذلك كله المتفرد بأنه

---

(١) الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية للشيخ عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي. ط: دار ابن القيم. الثانية ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.٣/ ٢٢٤.

(٢) البحر المحيط (في التفسير) لمحمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ). بعناية: صدقي محمد جميل العطار، زهير جعيد، وغيرهما. ط: دار الفكر-بيروت. ١٤٢٠ هـ-٢٠٠٠ م. ص ٢٦.

(العلي) أي الذي لا رتبة إلا وهي منحطة عن رتبته، (العظيم) كما أنبأ عن ذلك افتتاح الآية بالاسم العلم الأعظم الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنىٰ علوًّا وعظمة تتقاصر عنهما الأفهام لما غلب عليها من الأوهام"[١].

ووجه اقتران الصفتين من دون عطف بينهما الدلالة علىٰ تلازمهما وشدة ترابطها وأن كلًّا منهما تنضم إلىٰ أختها ولا تستقل بذاتها حتىٰ كأنهما صفة واحدة، وهذا ولا شك آكد في المدح وأبلغ في الوصف.

ولواو العطف هنا دور عظيم في تحقيق التماسك بين جمل الآية الكريمة والترابط بين مدلولاتها؛ حيث جمعت له -سبحانه – بين ما سبقها من صفات الكمال والمدح وما تلاها من صفتي العلو والعظمة، وربطت هذه الصفات جميعها وأحكمت نظمها في عقد فريد من الأسماء وصفات الجلال والكمال والعظمة، وكأن هذه الواو نطقت فقالت: لله ما تقدّم مما اتصف به من الوحدانية والحياة والقيومية والملك والعلم والقدرة، ومع ذلك هو المتفرّد بالعلو والعظمة.

---

[١] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٤/ ٣٦.

المبحث الثاني: التماسك النصي عن طريق الحذف

والحذف من أهم الروابط التي يحصل بها تماسك النص وترابط أجزائه وجُمله، وفيه يعتمد المتكلم علىٰ استبعاد عنصر أو أكثر من عناصر بناء الجملة التي يمكن أن تتمثل في ذهن المتلقي وتقوم فيه بمعونة قرائن تدل عليها لفظية كانت أو معنوية.

وإنما صار الحذف ربطًا واتصالًا مع كونه في الظاهر بترًا وانفصالًا لأحد أجزاء الجملة من جهة كونه أحد مظاهر الإحالة التي اتفق العلماء علىٰ كونها من أهم الأدوات والروابط التي بها يتحقق تماسك النص والتحام أجزائه، وإنما ينجم ذلك عن رجوع المتلقي إلىٰ مردّ هذا المحذوف في الكلام المذكور قبله أو بعده أو في السياق الخارجي الذي قام فيه النص، وهو ما يُعرَف بـ قرينة الحذف أو مرجعية المحذوف، وهذا أمر لا بد منه في الحذف نبه عليه النحويون القدماء وغيرهم من علماء اللغة، فابن جني في كتابه الخصائص يقرر أن الحذف يعتري "الجملة والمفرد والحرف والحركة، وليس شيء من ذلك إلا عن دليل يدل عليه"(١)، وأن "المحذوف إذا دلت الدلالة عليه كان في حكم الملفوظ به"(٢).

كما أشار الإمام عبد القاهر في كتابه أسرار البلاغة إلىٰ مرجعية المحذوف؛ إذ ذكر أن تقدير المحذوف قد يكون لأمر يرجع إلىٰ غرض المتكلم، وقد يكون لأمر راجع إلىٰ الكلام نفسه حيث قال: "ومما يجب ضبطه هنا أيضًا: أن الكلام إذا امتنعَ

---

(١) الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني(ت ٣٩٢ هـ). تحقيق: محمد علي النجار(ت ١٣٨٥هـ).ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب. الرابعة ٢/ ٣٦٢.

(٢) السابق ١/ ٢٨٥.

حمله علىٰ ظاهره حتىٰ يدعو إلىٰ تقديرِ حذفٍ، أو إسقاطِ مذكورٍ، كان علىٰ وجهين: أحدهما: أن يكون امتناع تركه علىٰ ظاهره لأمرٍ يرجع إلىٰ غرض المتكلم، ومثاله الآيتان المتقدم تلاوتهما، ألا ترىٰ أنك لو رأيت اسأل القرية في غير التنزيل، لم تقطع بأن هاهنا محذوفًا، لجواز أن يكون كلام رجل مرَّ بقرية قد خَرِبت وباد أهلها، فأَراد أن يقول لصاحبه واعظًا ومذكّرًا، أو لنفسه مُتَّعظًا ومُعْتبرًا: اسأل القرية عن أهلها، وقلْ لها ما صنعوا...، وكذلك: إن سمعت الرجل يقول: ليس كمثل زيدٍ أحدٌ، لم تقطع بزيادة الكاف، وجوّزت أن يريد: ليس كالرجل المعروف بمماثلة زيد أحدٌ، الوجه الثاني: أن يكون امتناعُ تَركِ الكلام علىٰ ظاهره، ولزومِ الحكم بحذفٍ أو زيادةٍ، من أجل الكلام نفسِه، لا من حيث غَرَض المتكلم به، وذلك مثل أن يكون المحذوف أحدَ جزأي الجملة، كالمبتدأ في نحو قوله تعالىٰ: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ [يوسف:١٨]، وقوله: ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ﴾ [آل عمران:١٩٧]، لا بُدَّ من تقدير محذوف، ولا سبيل إلىٰ أن يكون له معنىٰ دونه، وذلك أن الداعي إلىٰ تقدير المحذوف هاهنا، هو أن الاسم الواحدَ لا يفيدُ، والصفة والموصوف حكمهما حكم الاسم الواحد، وجَميلٌ صفة للصَبْر، وتقول للرجل: مَنْ هذا؟، فيقول: زيدٌ، يريد هو زيد، فتجد هذا الإضمار واجبًا، لأن الاسم الواحد لا يُفيد، وكيف يُتصوَّر أن يفيد الاسم الواحد، ومَدَارُ الفائدة علىٰ إثبات أو نفي، وكلاهما يقتضي شيئين: مُثْبَتٌ ومُثْبَتٌ له، ومَنْفيٌّ ومنفيٌّ عنه"[1].

---

[1] أسرار البلاغة لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت ٤٧١ هـ). قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر. ط: مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة. ٤٢١: ٤٢٣.

وللحذف في العربية أسباب عديدة وأنواع وفيرة، فمن أسبابه: كثرة الاستعمال، طول الكلام، الضرورة الشعرية، التقاء الساكنين، توالي الأمثال، وغيرها.

ومن أنواعه: حذف الحركة، حذف الحرف، حذف الكلمة، حذف الجملة، وكل نوع من هذه الأنواع تندرج تحته صورٌ أخرىٰ، كما قد يشمل الحذف أكثر من جملة.

والمتأمل في آية الكرسيّ المتدبِّر في تركيبها ودلالاتها يتبين له مجيء الحذف فيها علىٰ أحد وجهين: الأول: حذف المسند بعد واو العطف، والثاني: حذف العاطف بين الجمل، وهذا تفصيل القول في كلٍّ.

المطلب الأول: حذف المسند بعد واو العطف

والحذف في هذا الوجه قريب الصلة أو هو جزء لا يتجزّأ من الإحالة التي سيأتي الحديث عنها إن شاء الله تعالىٰ؛ وذلك لأن المتكلم يحذف الفعل أو الخبر بعد واو العطف ليحيل المتلقي في تقدير الفعل المحذوف في الجملة الثانية إلىٰ الفعل المذكور قبل واو العطف الذي يعد مرجعية قبلية وقرينة دالة علىٰ هذا المحذوف، فيربطه به ويصهره معه في بوتقة واحدة، وبهذا يتحقق التماسك ويحصل الترابط بين أول الكلام وآخره حيث يردُّ آخره إلىٰ أوله.

وقد وقع حذف المسند بعد واو العطف في الآية الكريمة في أربعة مواضع:

أولها: قوله تعالىٰ: ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾، والثاني: قوله: ﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾، والثالث: قوله: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾، والرابع: قوله جل وعلا: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾

ففي الأول حُذف الفعل المتصل به ضمير المفعول به(تأخذه) بعد واو العطف المتلوّة بـ(لا) النافية في قوله ﴿ وَلَا نَوْمٌ ﴾، وقد استند هذا الحذف إلىٰ مرجعية لفظية سابقة، وهي الفعل المذكور قبله في جملة ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾، فيكون تقدير الكلام حينئذ: ولا يأخذه نوم.

وفي الثاني حُذف الجار والمجرور الواقع مسندًا مقدَّمًا في قوله ﴿ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾، وقد أحال هذا الحذف المتلقي وردَّه في تقدير المحذوف في هذه الجملة إلىٰ المسند(له) المذكور في الجملة السابقة ﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾الذي يمثل مرجعية قبلية وقرينة لفظية دالة علىٰ المحذوف في الجملة الثانية ليكون

التقدير: ﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾، وبهذا وقع الترابط وتحقق التماسك بين أول الجملة وآخرها، وكان لتعانق الحذف مع واو العطف فضل كبير في الجمع بين أطراف الكلام وربطها برباط وثيق يتمثل في إحالة اللاحق موضع الحذف إلىٰ السابق لتقدير هذا المحذوف.

وفي الثالث: حُذف الفعل(يعلم) بعد واو العطف المتلوّة بـ(ما) الموصولة في قوله ﴿ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ ﴾استغناء بذكره في الجملة السابقة ﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ﴾؛ إذ تقدير الكلام: يعلم ما بين أيديهم ويعلم ما خلفهم. وكذلك كان الشأن في الموضع الرابع، وهو قوله تعالىٰ: ﴿ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ ﴾

وهنا يجب التنبيه على أمرين مهمين: الأول: أن حذف المسند هنا في هذه المواضع الأربع كاللازم الواجب؛ إذ هو الذي يقتضيه المقام ويطلبه السياق، وبيان ذلك: أن إظهار المسند هنا قد يعني في حذف الفعل وقوع الفعل علىٰ كل واحد من المفعولين علىٰ انفراد دون وقوعه عليهما مجتمعين، فيكون المعنىٰ في قوله: ﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ ﴾ علمه تعالىٰ بما بين أيديهم علىٰ جهة الاستقلال، وعلمه بما خلفهم علىٰ جهة الاستقلال أيضًا، أما علمه بالاثنين معًا فلا يكون مفادًا عند ذكر الفعل، وهذا منافٍ لمعنىٰ سعة علمه – تعالىٰ – وإحاطته الذي هو أحد صفاته التي سيقت الآية الكريمة للدلالة عليها. وكذلك لا يستقيم إظهار المسند في قوله تعالىٰ: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ ﴾ علىٰ أن المعنىٰ: وسع كرسيه السماوات، ووسع كرسيه الأرض؛ إذ يفيد حينئذ أن الكرسي يسع كل واحد منهما حال كونه منفردًا، أما مع اجتماعهما فلا، وهذا أيضًا منافٍ لمعنىٰ عظم كرسيه الذي دلّت عليه الأخبار

النبوية، وغير مؤدٍّ لمعنىٰ سعة ملكه وإحاطته الذي هو أحد المعاني التي سيقت الآية لتقريرها، ومثل ذلك يُقال في قوله تعالىٰ: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

فإذا ما رجعنا إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ وأردنا إظهار المسند فيه وجدنا ذلك يفضي بنا إلىٰ قول المحال عليه تبارك وتعالىٰ؛ إذ يصير المعنىٰ: لا تأخذه سنة منفردة ولا يأخذه نوم منفرد، وقد يأخذانه مجتمعين – حاشاه وتعالىٰ عن ذلك علوًّا كبيرًا، وهو المناقض لما دلت عليه الصفتان السابقتان لهذه الجملة(الحي القيوم) المفيدتان لتمام حياته وكمال قيوميته.

والأمر الثاني الذي ينبعي التنبيه عليه هو أن في حذف المسند هنا والتعويل علىٰ المرجعية اللفظية السابقة إثارة لذهن المتلقي وإعمالًا لفكره في الوصول إلىٰ ذلك المحذوف، وهذا أدعىٰ لتأكيد المعنىٰ في الذهن وتمكينه في النفس.

المطلب الثاني: حذف الواو العاطفة بين الجمل

تقدم القول إن حذف الواو العاطفة بين الجمل التي لا محل لها من الإعراب هو ما أطلق عليه البلاغيون مصطلح(الفصل)، وعددوا مواضع يتعين فيها ترك الواو بين الجملتين تأتي الثانية منهما مفصولة عن الأولىٰ، إما لتقاربها معها في المعنىٰ تقاربًا تامًّا حتىٰ تكون الجملة الثانية كأنها الأولىٰ، وإما لتباعد معناهما وبُعد المناسبة بينهما.

والمتأمل في آية الكرسي يجد أن كل جملتين متتاليتين فيها متناسبتان متقاربتان في المعنىٰ إلىٰ الحد الذي وجب فيه ترك الواو بينهما، وقد وقع ذلك في ستة مواضع من الآية الكريمة:

أولها: الفصل بين الجملتين: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ ﴿ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾

افتتحت الآية الكريمة باسم الجلالة ﴿ٱللَّهُ﴾، ذلكم العَلَم الدال علىٰ ذاته – تعالىٰ– وحده، الجامع لجميع معاني أسمائه الحسنىٰ وصفاته العليا، الدالّ بأصل وضعه علىٰ انفراده تعالىٰ – بالألوهية التي سيقت الآية الكريمة لتقرير دلائلها، ولهذا كان البدء به من براعة الاستهلال؛ لما اشتملت عليه الآية من تأكيد علىٰ كمال ألوهيته، وتقرير لدلائل التوحيد.

وجملة ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ إخبار بأنه – سبحانه – المتفرد بالإلهية، المستحق للعبادة دون غيره بدلالة أسلوب القصر علىٰ ذلك، وهي بهذا تقرر معنىٰ اسمه الأعظم الذي وقعت خبرًا عنه.

وقوله: ﴿ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ خبران لمبتدأ محذوف تقديره(هو) يعود إلىٰ اسم الجلالة، ومعنىٰ ﴿ ٱلۡحَيُّ ﴾: " الذي له الحياة الدائمة، والبقاء الذي لا أول له بحد، ولا آخر له بأمد، إذ كان كل ما سواه فإنه وإن كان حيا فلحياته أول محدود، وآخر ممدود،

ينقطع بانقطاع أمدها، وينقضي بانقضاء غايتها"[١]، و﴿ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾: صيغة مبالغة من القيام، ومعناه: "القائم بتدبير أمر الخلق"[٢]، و(ال) في الصفتين جنسية تفيد القصر، فهو وحده الحي الدائم الحياة " القائم برزق ما خلق وحفظه"[٣].

والملاحظ هنا تعاقب الجملتين ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، ﴿ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ من غير عاطف بينهما، وما ذاك إلا لأن الجملة الأولىٰ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أخبرت بانفراده – تعالىٰ – بالإلهية، والجملة الثانية ﴿ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ بيّنت وجه استحقاقه ذلك الانفراد، فكأن الأولىٰ منهما أثارت في الذهن سؤالاً عن سبب انفراده – تعالىٰ – بالإلهية، فجاءت الثاني جوابًا عن ذلك السؤال المقدّر في الذهن، ففصل بينهما كما يفصل بين السؤال والجواب لما بينهما من ربط معنوي، وهذا موطن من مواطن الفصل سماه البلاغيون: شبه كمال الاتصال، والمعنىٰ علىٰ هذا: الله – وحده– المستحق للعبادة دون سواه؛ لأنه – وحده – الحي الذي لا يموت، القائم بتدبير أمور جميع خلقه.

الموضع الثاني: الفصل بين الجملتين:

﴿ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾

تقدّم الحديث في المبحث الأول عن قوله تعالىٰ: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾، وقلنا إن السِّنة: مرتبة أعلىٰ من النعاس؛ إذ إن النعاس أول النوم، والوسن ثقل النعاس، وأن النوم: "رَاحَة للبدن وَالْعقل تغيب خلالها الْإِرَادَة والوعي جزئيا أَو كليا وتتوقف فِيهَا جزئيا الْوَظَائِف الْبَدَنِيَّة"[٤]، وكلاهما مُحال علىٰ الله – تعالىٰ– وذلك لأنهما " معنيان يغمران فهم ذي الفهم، ويزيلان من أصاباه عن الحال التي كان عليها قبل أن

---

(١) تفسير الطبري٥/ ٣٨٧، وما بعدها.

(٢) زاد المسير في علم التفسير١/ ٢٢٩.

(٣) تفسير الطبري٥/ ٣٨٨.

(٤) المعجم الوسيط ٢/ ٩٦٥-نوم.

يصيباه"[١]، والله – تعالىٰ– منزّه عن ذلك؛ إذ " هو الدائم علىٰ حال، والقيوم علىٰ جميع الأنام، لو نام كان مغلوبا مقهورا، لأن النوم غالب النائم قاهره، ولو وسن لكانت السموات والأرض وما فيهما دكا، لأن قيام جميع ذلك بتدبيره وقدرته، والنوم شاغل المدبر عن التدبير، والنعاس مانع المقدر عن التقدير بوسنه"[٢].

وأما وجه ارتباط هذه الجملة بالتي قبلها إلىٰ الحدّ الذي صلح معه حذف العاطف بينهما فهو كونها مؤكّدة لها مقررة لمضمونها، بيان ذلك: أن الله – سبحانه وتعالىٰ – لما أثبت لنفسه في الجملة السابقة{ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ} أنه الحي الذي لا يموت، القائم بتدبير كلِّ شؤون خلقه، نفىٰ عن نفسه هنا ما يقدح في ثبوت تمام هذين الوصفين له، ويطعن في كمالهما فيه من حصول أي غفلة صغيرة كانت أو كبيرة أو أي خروج له عن الوعي بدلالة اجتمع النفي والتنكير في {سِنَةٌ }،{نَوۡم} علىٰ ذلك؛ للتأكيد علىٰ دوام حياته وكمال قيُّومته[٣]، قال الزمخشري في تفسيره: "أي لا يأخذه نعاس ولا نوم وهو تأكيد للقيوم لأنّ من جاز عليه ذلك استحال أن يكون قيوما"[٤]، وقال

---

(١) تفسير الطبري ٥/ ٣٩٣.

(٢) السابق نفسه.

(٣) قال ابن تيمية: "فنفي السِنة والنوم يتضمن كمال الحياة والقيام، فهو مبيِّن لكمال أنه الحي القيوم". التدمرية. ص٥٨.

(٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لمحمود ابن عمر بن أحمد الزمخشري(ت ٥٣٨ هـ)، وبهامشه أربعة كتب: الانتصاف من الكشاف لأحمد المعروف بابن المنير الإسكندري(ت ٦٨٣ هـ)، الكافي الشافِ في تخريج أحاديث الكشاف للحافظ ابن حجر العسقلانِي(ت ٨٥٢ هـ)، حاشية الشيخ محمد عليان المرزوقي»(ت ١٣٥٥ هـ)، مشاهد الإنصاف علىٰ شواهد الكشاف للشيخ محمد عليان. ضبطه وصححه ورتّبه: مصطفىٰ حسين أحمد. ط: دار الريان للتراث بالقاهرة–دار الكتاب العربي ببيروت. الثالثة ١٤٠٧ هـ–١٩٨٧ م. ١/ ٣٠٠.

صاحب مفاتيح الغيب: « إِنَّهُ تَعَالَىٰ لَمَّا بَيَّنَ أَنَّهُ حَيٌّ قَيُّومٌ أَكَّدَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ وَالْمَعْنَىٰ: أَنَّهُ لا يَغْفُلُ عَنْ تَدْبِيرِ الْخَلْقِ، لِأَنَّ الْقَيِّمَ بِأَمْرِ الطِّفْلِ لَوْ غَفَلَ عَنْهُ سَاعَةً لَاخْتَلَّ أَمْرُ الطِّفْلِ، فَهُوَ سُبْحَانُهُ قَيِّمُ جَمِيعِ الْمُحْدَثَاتِ، وَقَيُّومُ الْمُمْكِنَاتِ، فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَغْفُلَ عَنْ تَدْبِيرِهِمْ، فَقَوْلُهُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ كَالتَّأْكِيدِ لِبَيَانِ كَوْنِهِ تَعَالَىٰ قَائِمًا"(١).

وهكذا كانت الجملة الثانية بمنزلة التوكيد للجملة الأولىٰ، وكان التوكيد هو ذلك الرابط المعنوي الذي سوّغ الفصل بينهما، بل جعله واجبًا لا يُبغىٰ عنه حولا، ولهذا عدّ البلاغيون مثل هذا موطنًا من مواطن الفصل بين الجمل أطلقوا عليه اسم (كمال الاتصال).

الموضع الثالث: الفصل بين الجملتين:

﴿ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ ﴾ ﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾

أخبر الله – سبحانه وتعالىٰ – في الجملة الثانية بأنه المالك لجميع ما في السموات والأرض من الأعيان والأحوال، المنفرد بذلك دون من سواه، وقد دلّ علىٰ قصر ملكها عليه وحده تقديم الجار والمجرور﴿ لَّهُۥ﴾ الواقع مسندًا علىٰ المسند إليه ﴿ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾، ولذا قال الإمام الطبري في تفسير هذه الجملة: "يَعْنِي تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾أَنَّهُ مَالِكُ جَمِيعِ ذَلِكَ بِغَيْرِ شَرِيكٍ وَلَا نَدِيدٍ، وَخَالِقُ جَمِيعِهِ دُونَ كُلِّ آلِهَةٍ وَمَعْبُودٍ وَإِنَّمَا يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّهُ لَا تَنْبَغِي الْعِبَادَةُ لِشَيْءٍ سِوَاهُ؛ لِأَنَّ الْمَمْلُوكَ إِنَّمَا هُوَ طَوْعُ يَدِ مَالِكِهِ، وَلَيْسَ لَهُ خِدْمَةٌ غَيْرِهِ إِلَّا بِأَمْرِهِ "(٢).

---

(١) تفسير الرازي ٧/ ٨.

(٢) تفسير الطبري ٤/ ٥٣٤.

ودل علىٰ عموم الملك وشموله وقوع المسند إليه ﴿ مَا ﴾ اسم موصول يشمل العاقل وغير العاقل(١)، قال ابن عطية: "فهو مالك الجميع وربه، وجاءت العبارة بـ ما وإن كان في الجملة من يعقل من حيث المراد الجملة والموجود"(٢).

وأما عن وجه ارتباط هذه الجملة بالتي قبلها، وسر امتزاجهما الذي أوجب حذف العاطف بينهما فبيانه: أنه – سبحانه – لما ذكر في الجملة التي قبلها أنه الحي الباقي، القيوم المتصرف في جميع شؤون خلقه، المدبِّر لأحوالهم، لا يغفل عنهم ولا ينام، ذكر هنا مقتضىٰ ذلك ولازمه، وهو كونه المالك لما يقوم عليه ويدبّر أمره من جميع ما في السموات والأرض؛ إذ كيف يحكم ويتصرف من لا يملك في ما لا ملك له عليه!

---

(١) قال ابن عقيل في شرحه علىٰ ألفية ابن مالك: " وأكثر ما تستعمل(ما) في غير العاقل، وقد تستعمل في العاقل"، قال المحقق: " تستعمل(ما) في العاقل في ثلاثة مواضع، الأول: أن يختلط العاقل مع غير العاقل نحو قوله تعالىٰ:﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾، فإن ما يتناول ما فيهما من إنس وملك وجن وحيوان وجماد، بدليل قوله:(وإن من شيء إلا يسبح بحمده)، والموضع الثاني: أن يكون أمره مبهما علىٰ المتكلم، كقولك- وقد رأيت شبحا من بعيد-: انظر ما ظهر لي، وليس منه قوله تعالىٰ: قوله تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ لأن إبهام ذكورته وأنوثته لا يخرجه عن العقل، بل استعمال(ما) هنا في ما لا يعقل لأن الحمل ملحق بالجماد، والموضع الثالث: أن يكون المراد صفات من يعقل، كقوله تعالىٰ(فانكحوا ما طاب لكم) ". شرح ابن عقيل علىٰ ألفية ابن مالك لعبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري(ت ٧٦٩ هـ). تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد(ت ١٣٩٢ هـ). ط: دار التراث-القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه. العشرون ١٤٠٠ هـ-١٩٨٠م. ١/ ١٤٧.

(٢) تفسير ابن عطية ١/ ٣٤١.

ومن جهة أخرىٰ فإن وقوع جميع الأعيان والأحوال تحت ملكه، وخضوعها لقبضته هو الذي جعله – سبحانه – قيُّومًا عليها، أي أن قيومته علي ما في السموات والأرض مسببة عن ملكه وحده لجميع ما فيهما.

وبهذا تتضح العلاقة التي ربطت بين الجملتين وتتبلور في بوتقة اللازم والملزوم، أو السبب والمسبب، وكل منهما علاقة دلالية تساعد علىٰ ربط الجمل ببعضها وتكون منها خيطا قويا يربط النص ويدعم وشائج الاتصال بين أجزائه.

الموضع الرابع: الفصل بين الجملتين:

﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ ﴾

جاء الاستفهام بـ(مَنْ) في الجملة الثانية مستعملًا في الإنكار والنفي(١)، والمعنىٰ: "مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ لَمَمَالِيكِهِ إِنْ أَرَادَ عُقُوبَتَهُمْ إِلَّا أَنْ يَخْلِيَهُ، وَيَأْذَنَ لَهُ بِالشَّفَاعَةِ لَهُمْ، وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا: مَا نَعْبُدُ أَوْثَانَنَا هَذِهِ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَىٰ اللهِ

(١) دلّ علىٰ ذلك دخول(إلا) في تمام الجملة فيكون قصرًا بطريق النفي والاستثناء، كما دلت علىٰ ذلك غير آية من كتاب الله، منها: قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴿٢٨﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وقوله : ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ ﴾ [سبأ: ٢٣]، وقوله: ﴿* وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ [النجم:٢٦]، وقوله تعالىٰ: ﴿ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا ﴿٣٨﴾ [النبأ: ٣٨]. ومجيء القصر بهذا الطريق الموضوع–لما ينكره المخاطب ويشك فيه أو لما ينزل هذه المنزلة–مناسب للمقام هنا من حيث كون المشركين جعلوا أوثانهم شفعاء لهم عند الله من دون إذن الله لهم فيها، و مجيء النفي في صورة الاستفهام فيه – بالإضافة إلىٰ إثارة الذهن وإعمال الفكر–تنبيه هؤلاء المنكرين إلىٰ خطئهم في ادعائهم شفاعة الآلهة، وتوبيخ لهم علىٰ هذا الادعاء الباطل، فلا شفاعة إلا بإذنه تعالىٰ.

زُلْفَىٰ"[١]. وتركُّب أسلوب الاستفهام من(مَنْ) وما تلاه من اسم الإشارة(ذا) والاسم الموصول(الذي) فيه دلالة علىٰ عِظم أمر الشفاعة وكونها ليست بالأمر الهيِّن "فَإِنَّهُ إِنَّمَا يُقَالُ مَنْ ذَا الَّذِي يَفْعَلُ كَذَا؟ فِي الْأَمْرِ الَّذِي يَنْدُرُ أَنْ يُقْدِمَ عَلَيْهِ أَحَدٌ. يُقَالُ مَنْ ذَا يَتَطَاوَلُ إِلَىٰ الْمَلِكِ فُلَانٍ؟ أَوْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْمَلُ هَذَا الْعَمَلَ وَلَهُ كَذَا؟ إِذَا كَانَ عَظِيمًا أَوْ شَاقًّا يَقِلُّ مَنْ يَتَصَدَّىٰ لَهُ"[٢].

وواضح وجه ارتباط هذه الجملة بسابقتها من كون الأولىٰ أثبتت لله وحده ملك كل ما سواه، والثانية نفت أن يكون لغيره حكم في شيء من ملكه إلا بإذنه وأمره، فهذا المنفي إذًا لازم ذاك المُثبت؛ إذ "يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِهِ مَالِكًا لِلْكُلِّ، أَنْ لَا يَكُونَ لِغَيْرِهِ فِي مُلْكِهِ تَصَرُّفٌ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ"[٣] من غير إذنه، فلذا كانت علاقة اللزوم بين الجملتين هي تلك الحلقة الذي جمعت بينهما، ولم تحوجهما إلىٰ رابط لفظيّ.

ويمكن أن يُقال: إن الجملة الثانية تضمّنت الدلالة علىٰ بعض من ملكه الذي أثبتته كله الجملة الأولىٰ، فكأن الجملة الثانية بمنزلة بدل البعض من الكل، فلذا فُصل بينهما كما يُفصَل بين البدل والمبدل منه، وهو نوع من الفصل لكمال الاتصال.

الموضع الخامس: الفصل بين الجملتين:

﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ ﴾ ﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ ﴾

تقدم القول إن الضميرين في قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ ﴾عَائِدَانِ عَلَىٰ كُلِّ مَنْ يَعْقِلُ مِمَّنْ تَضَمَّنَهُ قَوْلُهُ:

---

[١] تفسير الطبري ٥/ ٣٩٥.

[٢] تفسير المنار ٢/ ٣٦٧.

[٣] تفسير الرازي ٧/ ٨.

﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾، وإن في المراد بـ﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ﴾ثلاثة أقوال: أحدها: أن الذي بين أيديهم أمر الآخرة، والذي خلفهم أمر الدنيا، والثاني: أن الذي بين أيديهم الدنيا، والذي خلفهم الآخرة، والثالث: ما بين أيديهم: ما قبل خلقهم، وما خلفهم: ما بعد خلقهم.

ففي هذه الجملة أثبت تعالىٰ لنفسه علم ما كان وما سيكون، ثم لما كان ذلك مظنة أن يشاركه في علمه أحد أتبع ذلك بقوله: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ ﴾، والمعنىٰ: "لا يدركون – يعني من الملائكة والأنبياء وغيرهم – بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ أي من معلوماته(إِلَّا بِما شاءَ) أن يعلموه وأن يطلعهم عليه كإخبار الرسل(فلا يظهر علىٰ غيبه أحدا الا من ارتضىٰ من رسول)، وإنما فسرنا العلم بالمعلوم لأن علمه تعالىٰ الذي هو صفة قائمة بذاته المقدسة لا يتبعض فجعلناه بمعنىٰ المعلوم ليصح دخول التبعيض والاستثناء عليه"(١).

وكما تقدّم فإن حذف العاطف بين جملة وجملة يقتضي أن يكون هناك رابط معنوي، ووجه دلالي سوّغ حذف العاطف بين هاتين الجملتين المتتاليتين، وهو هنا عبارة عن علاقة السببية بين الجملتين، وبيان ذلك:

أن قوله تعالىٰ: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ ﴾ يدل علىٰ أن لا شفاعة في الآخرة إلا بإذنه، وهذا بدوره يستلزم نفي الشفاعة التي كان يزعمها المشركون لآلهتهم؛ لأنه – سبحانه – لن يأذن فيها، فهو– إذًا – كناية عن نفي شفاعة تلك الآلهة المزعومة لهؤلاء المشركين، والسبب في ذلك هو بعض من عموم ما أفادته الجملة التالية، وهو علمه – تعالىٰ– من أحوالهم ما لا يستحقون الشفاعة لأجله، فهو – سبحانه – يعلم جميع أحوال خلقه، ومن يستحق الثواب منهم ومن يستحق العقاب،

(١) روح البيان١/ ٤٠٣.

وهو ما أفادته جملة ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾، قال الآلوسي: " والمقصود بهذا الكلام بيان أنه عالم بأحوال الشافع والمشفوع له فيما يتعلق باستحقاق الثواب والعقاب"(١)، وقال البقاعي: "أي علمه سبحانه محيط بهم، فهو يمنع قلوبهم في ذلك اليوم بما يوجد من الأسباب أن تهم بما لا يرضاه"(٢).

وهناك وجه آخر في توجيه الربط بين الجملتين وهو كون الثانية مؤكِّدة لما أفادته الأولىٰ، ذلك: أن الجملة الأولىٰ أفادت – كما تقدّم – نفي الشفاعة عنهم لأنها مترتبة علىٰ إذنه، وأفادت الجملة الثانية – بمفهومها – أن إذنه هذا غير حاصل لهؤلاء الشفعاء؛ لأن إذنه جزء من علمه المحيط بجميع خلقه الذي استأثر به فلم يطلع عليه أحدًا إلا من شاء إعلامه به بإخبار الرسل، فأنَّىٰ علم هؤلاء المشركون – المعارضون للوحي – بإذن الله في تلك الشفاعة المزعومة لآلهتهم؟!

قال الرازي في تفسيره: "وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ: أَنَّهُ سُبْحَانَهُ عَالِمٌ بِأَحْوَالِ الشَّافِعِ وَالْمَشْفُوعِ لَهُ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِاسْتِحْقَاقِ الْعِقَابِ وَالثَّوَابِ، لِأَنَّهُ عَالِمٌ بِجَمِيعِ الْمَعْلُومَاتِ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ خَافِيَةٌ، وَالشُّفَعَاءُ لَا يَعْلَمُونَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ أَنَّ لَهُمْ مِنَ الطَّاعَةِ مَا يَسْتَحِقُّونَ بِهِ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ الْعَظِيمَةَ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ، وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ هَلْ أَذِنَ لَهُمْ فِي تِلْكَ الشَّفَاعَةِ وَأَنَّهُمْ يَسْتَحِقُّونَ الْمَقْتَ وَالزَّجْرَ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلَائِقِ أَنْ يُقْدِمَ عَلَىٰ الشَّفَاعَةِ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَىٰ"(٣).

---

(١) روح البيان١/ ٤٠٢.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور١٢/ ٣٤٨.

(٣) تفسير الرازي ٧/ ١٢.

وهكذا جاءت الجملة الثانية مؤكدة لما أفادته الجملة قبلها من نفي الشفاعة المذكورة، ولما كانت الجملة الثانية بمنزلة التوكيد للجملة الأولىٰ حُذف العاطف بينهما كما يُحذف بين التوكيد والمؤكّد، وهو أحد صور الفصل لكمال الاتصال التي نبّه عليها البلاغيون.

الموضع السادس: الفصل بين الجملتين:

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ ﴾ ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ ﴾

تقدّم القول في ترابط جمل الآية - حتىٰ قوله تعالىٰ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ ﴾ - ترابطًا دلاليًا لا يُحتاج معه إلىٰ عاطف، وأنها قد تماسكت في بناء محكم حتىٰ صارت جميعها كجملة واحدة متصلة الأجزاء مترابطة الأطراف، أدت دورها في الدلالة علىٰ كمال ملكه وحكمه - سبحانه - وتمام علمه وإحاطته بما في السموات والأرض من مخلوقات، وهذا يجعلنا نبحث في سر فصل جملة(وسع) عما قبلها من جمل الآية جميعها لا عن الجملة قبلها فحسب، وهنا نقول: إِنَّهُ - تعالىٰ - لما بيّن قبل هذه الجملة كمال ملكه وحكمه فِي السموات وَفِي الْأَرْضِ، أتبع ذلك ببيان أَنَّ مُلْكَهُ فِيمَا وَرَاءَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَعْظَمُ وَأَجَلُّ، فَقَالَ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ ﴾[1]، فكان ما قبل هذه الجملة حديثًا عما في السموات والأرض، وما فيها حديثًا عما وراءهما مما شمله ملكه تعالىٰ؛ إذ أخبر فيها - سبحانه - عن أحد مخلوقاته التي فوق السماء السابعة وهو الكرسي، وذكر من عظيم خلقه أنه يسع السماوات والأرض علىٰ عظمهما وسعة خلقهما، وهو مع ذلك دون العرش والعرش أعظم منه كما أخبرت بذلك الأحاديث النبوية، لتتجلىٰ بذلك عظمته - سبحانه وجلاله؛ فما عظمة الخلق إلا دليل علىٰ عظمة الخالق.

---

(١) يُنظر: السابق ٧/ ٨.

وقد يُقال في وجه الربط المعنوي بين جملة(وسع) وما قبلها أنه – سبحانه – ذكر في قوله قبلها: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾أن ما في السموات والأرض هو ملكه، ولم يذكر أنهما أنفسهما ملكه، والمالك قد يملك الشيء لكن لا يملك ما فيه وقد يكون العكس، فجاءت الجملة(وسع) فذكر فيها أن السموات والأرض وما فيهما هو ملكه؛ إذ وسعهما كرسيه[1].

[1] يُنظر: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل للدكتور / فاضل صالح السامرائي. محاضرات مفرغة ص ٣٨.

المبحث الثالث: التماسك النصي عن طريق الإحالة

تعتبر الإحالة أحد الآليات المهمة التي يتكئ عليها مُحَلِّلُ النص كي يثبت مدىٰ تماسك أطرافه واتساق أجزائه؛ إذ إنها من أهم الروابط التي تشدُّ بها أواصر النص، وعليها يُعوَّل في توثيق عرىٰ الاتصال بين عناصر الكلام المتباعدة، هذا بالإضافة إلىٰ دورها المهم في تحقيق الإيجاز؛ لما يحصل بها من إغناء المتكلم عن إعادة مفردات وتراكيب، تضيع بتكرارها جدة الموضوع وجودة الصياغة، وتورث المتلقي مللًا وسآمة.

والإحالة في اللغة: مصدر الفعل(أحال) الذي يدور حول معنىٰ التحوُّل والتغيُّر، ويستعمل لازمًا، فيقال: " أحالَ الشَّيْءُ: تَحوَّلَ مِن حالٍ إِلَىٰ حالٍ. أَو أحالَ الرجُلُ: تَحوَّلَ من شَيْء إِلَىٰ شيءٍ"(١)، كما يُستعمل متعدّيًا فيقال: "أحال الشيءَ" إذا نقله وغَيّره من حَال إِلَىٰ حَال(٢)، والإحالة التي نحن بصدد الحديث عنها مأخوذة من المتعدي؛ إذ إن هاهنا ثلاثة عناصر: المُحيل وهو المتكلم الذي يحوِّل اللفظ وينقله إلىٰ عنصر سابق أو لاحق أو إلىٰ عنصر خارجي، والمَحيل وهو اللفظ المنقول، والمُحال إليه وهو العنصر المنقول إليه سواء أكان متقدِّمًا أو متأخِّرًا أو خارجيًّا.

وفي الاصطلاح:

هي "العلاقة بين الكلمات وبين الأشياء والأحداث والأفعال والصفات التي تشير إليها"(٣).

---

(١) تاج العروس ٢٨/ ٣٦٦-حول.

(٢) يُنظر: المعجم الوسيط ١/ ٢٠٩ – حول.

(٣) علم الدلالة. جون لاينز. ترجمة: مجيد عبد الحليم، وحليم حسين فالح، وكاظم حسين باقر. رسالة دكتوراه بجامعة البصرة ١٩٨٠م. ص ٤٣.

والعناصر الإحالية هي: " قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود علىٰ عنصر أو عناصر أخرىٰ مذكورة في أجزاء أخرىٰ من الخطاب"(١)، وقد أطلق عليها الباحثون اسم (أدوات الاتساق الإحالية)، وجعلوا أبرزها: الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، والتكرار، وشرطوا لكونها عنصرًا إحاليًّا يدعم تماسك النص "التماثل بين ما سبق ذكره في مقام ما وبين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر"(٢).

والإحالة عند علماء النص قسمان:

الأول: الإحالة النَّصِيَّة أو الداخلية: وفيها يكون الشيء المحال إليه داخل النص سابقًا أو لاحقًا (٣)، ومن هنا انقسمت الإحالة الداخلية قسمين:

أ- **إحالة قبلية:** وهي" استعمال كلمة أو عبارة في النص أو المحادثة، وتعود علىٰ مفسر سبق التلفظ به"(٤).

ب-**إحالة بعدية:** وهي" استعمال كلمة أو عبارة أخرىٰ سوف تستعمل لاحقا في النص أو المحادثة"(٥).

---

(١) نسيج النص. ص ١١٨.

(٢) نسيج النص. ص ١١٨.

(٣) يُنظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ١/ ٤٠.

(٤) علم اللغة النصي ص ٣٨، نحو النص. أحمد عفيفي. ط: مكتبة زهراء الشرف-القاهرة – الأولىٰ٢٠٠١م. ص١١٧.

(٥) نحو النص ص ١١٧، علم اللغة النصي ص٤٠، ويعدُّ أبرز أبواب النحو توضيحا لها " ضمير الشأن، الجمل التفسيرية التي تفسر جملة او بعبارة كما في السور والجمل الاولىٰ منها.

والقسم الثاني من قسمي الإحالة: الإحالة المقامية، وتسمىٰ إحالة خارج النص، و" هي إحالة عنصر لغوي إحالي علىٰ عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي"(١).

وإذا نظرنا في آية الكرسي وجدنا وجوهًا متعددة للإحالة فيها؛ إذ يلمح المتأمل فيها إحالة بكل من (الضمائر، التكرار، الاسم الموصول، اسم الإشارة، الطباق) وكل منها يؤدي في موضعه وظيفة ربط بلاغي لا يؤديها غيره، وسيعرض البحث في المطالب الآتية تفصيل القول في كلٍّ لون منها.

(١) نسيج النص. ص ١١٩.

المطلب الأول: التماسك النصي عن طريق الإحالة بالضمائر

للضمير – أيا كان نوعه – دور لا يُغفل في تحقيق تماسك النص وترابط فقراته وجُمَله، وما ذاك إلا لما هو متأصِّل في طبيعة كل ضمير من كونه لا بد له من مرجِعٍ يرجع إليه، أو مفسِّرٍ يفسِّره ويزيل غموضه وإبهامه، فأنا لا أقول – مثلا – أخذ كتابه وقلمه، إلا وقد قدّمت أو أخّرت ذِكر نحو محمد أو عليٍّ ممن يصح أن يعود إليه الضمير في(كتابه وقلمه)، وهكذا الشأن في كل ضمير متكلمًا كان أو خطابًا أو غيبة، فليس غريبًا إذًا أن تأخذ الضمائر بعُرىٰ الكلام، وأن يكون لها الدور الأكبر في تحقيق التماسك والتلاحم بين عناصر النص الذي تقع فيه، وما أحسن عبارة أحد المعاصرين "تبقىٰ الجمل متناثرة لا رابط يربطها إلىٰ أن تظهر الضمائر لتمثل ذلك الجسر الذي يصل بين هذه الجمل المتناثرات ويربط بينها"(١).

ومما ينبغي التنبيه عليه هنا أن إحالة ضمائر المخاطب تعدُّ إحالة مقامية (خارج النص) ولا يمكن أن تكون مقالية(داخل النص) لأنها لا تساهم في تحقيق تناسق النص داخليا، أي أنها لا تربط لاحقا بسابق، وأن إحالة ضمائر الغائب تعدُّ مقالية ولا يمكن أن تكون مقامية، وبالتالي فهي تسهم دوما في تحقيق تناسق النص لأنها تربط دائما لاحقا بسابق، فالدور المهم في اتساق النص بالنسبة للضمائر يكمن في ضمائر الغيبة(٢).

---

(١) علم اللغة النصي ص ١٦٤.

(٢) أصول تحليل الخطاب. محمد الشاوش. ط: المكتبة العصرية – صيدا – بيروت–الثانية ١٤٢٠هـ–١٩٩٩م. ١/ ١٢٧، ويُنظر أيضًا: لسانيات النص. مدخل إلىٰ انسجام الخطاب. ط: المركز الثقافي العربي. بيروت – لبنان–الأولىٰ ١٩٩١م. ص ١٨.

والمتأمل في آية الكرسي يجد لضمير الغيبة – خاصة –حضورًا واسعًا؛ إذ لا يكاد يلمح جملة إلا وهو حاضر فيها، ومستقرٌّ بين جنباتها، بل ربما يكون ضمير الغيبة هو ركن الجملة الذي قامت عليه.

وضمير الغيبة في آية الكرسي ينقسم قسمين:

الأول: الضمير العائد إلىٰ اسم الجلالة الذي افتتحت به الآية الكريمة، وهو الأكثر ورودًا فيها، ويتجلىٰ في إحدىٰ صورتين: بارز ومستتر،.

والقسم الثاني: الضمير العائد إلىٰ غير اسم الجلالة، ولم يكن في كثرة الورود كسابقه، إلا أنه مثله: إما بارز وإما مستتر.

فأما الضمير العائد إلى اسم الجلالة فقد وقع في اثني عشر موضعًا من الآية الكريمة: تسعة منها جاء في صورة ضمائر بارزة، والثلاثة الأخرىٰ كان علىٰ هيئة ضمائر مستترة، وهذا تفصيل القول في هذه المواضع الاثنىٰ عشر، وكشف للنقاب عن أثر الضمير ودوره الفاعل في تحقيق الترابط والتماسك بين جمل الآية الكريمة علىٰ وفق ورودها فيها:

الموضع الأول: الضمير البارز في جملة ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾:

لكي يتضح دور الضمير في الربط بين أجزاء الجملة كان من الضروري التطرق إلىٰ محله الإعرابي في الجملة، وهذا يقودنا بالأحرىٰ إلىٰ التعرض لإعراب الجملة كاملة، فنقول: اسم الجلالة(الله) مبتدأ، و(لا) نافية للجنس، و(إله) اسم لا مبني علىٰ الفتح في محل نصب، وخبرها محذوف، تقديره: معبودٌ بحقٍّ، و(إلا) أداة استثناء، و(هو) ضمير مبني في محل رفع بدل من الضمير المستتر في الخبر(معبود)، وجملة لا واسمها وخبرها في محل رفع خبر لاسم الجلالة(الله).

فنرىٰ الضمير(هو) في دائرته الصغرىٰ يربط أول جملة القصر بآخرها، ثم هو في دائرته الكبرىٰ يربط بين المبتدأ – اسم الله الأعظم – الذي قامت عليه الجملة – بل الآية كلها– وبين جملة الخبر؛ إذ إنه يحيل إلىٰ ذلك الاسم الذي افتتحت به الآية؛ ليؤكد علىٰ اختصاصه – سبحانه – بالإلهية والعبودية الحقّة.

الموضع الثاني: الضمير المستتر في جملة ﴿ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾

فالصفتان –علىٰ أحد وجوه الإعراب –خبران لمبتدأ محذوف تقديره(هو)، هذا الضمير المستتر ربط هذه الجملة بسابقتها؛ حيث إنه إحالة إلىٰ اسم الجلالة الذي افتتحت به الجملة السابقة.

الموضع الثالث: الضمير البارز في جملة ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾

جاء ضمير الغيبة في الفعل(تأخذه) حلقة وصل بين هذه الجملة الثالثة وبين الجملتين قبلها؛ إذ يعود هذا الضمير في هذه الجملة وما قبلها إلىٰ مُخبَر عنه واحد، وهو اسم الجلالة.

الموضع الرابع: الضمير البارز في جملة ﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾

وكسابقه أحال ضمير الغيبة في الجار والمجرور(له) في هذه الجملة الرابعة إلىٰ ما أحالت إليه ضمائر الجمل السابقة، وهو اسم الجلالة الذي بنيت عليه الآية الكريمة، فتأكدت – بتلك الضمائر المتتالية – وشائج الاتصال وقويت عرىٰ التلاحم بين هذه الجملة المتتابعة، وكان لهذه الضمائر الدور الرائد في الربط بين تلك الجمل التي يحمل كل منها معنىً قائمًا بذاته.

وتتوالىٰ ضمائر الغيبة في كل جمل الآية التالية لهذه الجملة، وتتواصل الإحالة بها إلىٰ اسم الجلالة الواقع في أول الآية فنجد **الموضعين الخامس والسادس في جملة**

﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾، حيث أحيل بالضميرين المتصلين في(عنده)،(بإذنه) إلىٰ اسم الجلالة، وكذلك كان الحال في ضمير الغائب(هو) المستتر في الفعل(يعلم) الواقع فاعلا في **الموضع السابع؛ في جملة** ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾، وفي الضميرين: البارز في(علمه)، والمستتر في(شاء)، وهما **الموضعان الثامن والتاسع الواقعان في جملة** ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾.

وأما الموضعان العاشر والحادي عشر للإحالة بضمير الغائب إلى اسم الجلالة المخبر عنه في أول الآية: فهما الضميران البارزان في(كرسيه)،(يَـودُهُ) الواقعان **في جملة** ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾، **وأخيرًا كان الموضع الثاني عشر**- وهو الضمير البارز(هو) - **في الجملة الأخيرة من الآية الكريمة** ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ الذي أحيل به إلىٰ المخبر عنه في الجملة الأولىٰ منها، وهو الله عز وجلّ، فتحقّق بتلك الإحالة الربط بين أول الآية وآخرها، وكذلك بين جملها التي بُنيت عليها.

وهكذا كانت الإحالة بضمير الغيبة هي المعبر الذي عبرت عن طريقه الجملة الأخيرة إلىٰ سابقتها، وسابقتها إلىٰ التي قبلها، والتي قبلها إلىٰ سابقتها... وهكذا إلىٰ مُستهَلّ الآية؛ حيث وجدنا ترابطًا قويًّا واتصالًا وتلاحمًا متأصِّلًا بين كلِّ هذه الجمل التي اجتمعت كلها تحت لواء ضمير الغيبة المُحال به إلىٰ اسم الجلالة في أول الآية.

وأما القسم الثاني من ضمائر الغيبة في الآية الكريمة، وهو الضمائر العائدة إلىٰ غير اسم الجلالة، فقد وقع ذلك في خمسة مواضع:

الموضع الأول: الضمير المستتر في جملة ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾، والمقصود هنا ضمير الفاعل المستتر في الفعل(يشفع) المقدّر بـ(هو)، الواقع في جملة صلة الموصول(الذي)، وهو يعود إلىٰ كل من شمله هذا الاسم الموصول من الملائكة والنبيين وغيرهم ممن وردت النصوص في ثبوت الشفاعة لهم في الخلق، فهؤلاء جميعًا لا شفاعة لهم إلا بإذنه سبحانه، ولم يقتصر دور هذا الضمير المستتر علىٰ ربط جملة الصلة بموصولها، وإنما تعدّىٰ ذلك إلىٰ ربط هذه الجملة بالتي قبلها؛ ذلك أن هذا الشفيع الذي يعود إليه الضمير يدخل في عموم ما أفاده الموصول(ما) في الجملة السابقة، وهي قوله تعالىٰ: ﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾، فليس هذا الشفيع إلا جزءًا من ملكه – تعالىٰ – المدلول عليه بهذه الجملة، فالمعنىٰ إذًا: من هذا الذي يشفع عنده ممن هو في ملكه وتحت حكمه إلا بإذنه.

وبهذا الربط اللفظي(الضمير) وبغيره مما سبقت الإشارة إليه من ربط معنوي بين الجملتين(له، من ذا) يتضح أن هاتين الجملتين إنما هما في حكم الجملة الواحدة، ولهذا صحت الإحالة إليها في **المواضع الآتية من هذا القسم**[1]، **وهي الضمائر الثلاث البارزة في جملة** ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾[2]،؛ إذ إنها تحيل إلىٰ كل عاقل تضمنته الجملة قبلها وهي قوله تعالىٰ: ﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾، فهذه الجملة – في الحقيقة – تمثل قطب رحىٰ تدور حوله الجمل الآتية، وأما تلك الضمائر المذكورة فهي بمثابة الحلقة التي

---

(١) أعني: الضمائر العائدة إلىٰ غير اسم الجلالة.

(٢) وهي: الضميران(هم) المتصلان بـ(أيديهم)، (خلفهم)، وواو الجماعة في الفعل(يحيطون).

تصل هذه الجمل بقطبها، وهذا يؤكد لنا علىٰ أهمية الضمائر في الوصل بين الجمل التي لم يُعطف بعضها علىٰ بعض، وأنها في ذلك كواو العطف تصل آخرًا بأول وتعطف لاحقًا علىٰ سابق.

وأما الموضع الخامس من ضمائر الربط العائدة إلى غير اسم الجلالة فهو الضمير البارز في قوله(حِفْظُهُمَا) في جملة ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ﴾، وهذا الضمير يربط هذه الجملة بالتي قبلها؛ إذ إنه يعود إلىٰ السماوات والأرض المذكوران في الجملة السابقة(وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ). قال الطبري في تفسيره: "وَالْهَاءُ وَالْمِيمُ وَالْأَلِفُ فِي قَوْلِهِ: ﴿حِفْظُهُمَا﴾ مِنْ ذِكْرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَلَا يَثْقُلُ عَلَيْهِ حِفْظُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ"(١).

وهكذا رأينا كيف مدت الضمائر جسور الاتصال في الآية الكريمة بين أجزائها المتباعدة، وكيف كان لهذه الضمائر أكبر الأثر في تحقيق التماسك والترابط بين أطرافها؛ حيث لم تخل جملة منها من ضمير أو أكثر يعود علىٰ عنصر مذكور في جملة أخرىٰ قبلها مباشرة أو تفصل بينهما جملة أخرىٰ أو أكثر، كما تبيّن أن ضمائر الغيبة كانت هي المنفردة بتحقيق ذلك التماسك في الآية الكريمة، وهذا – كما قلنا – أمر بدهي؛ إذ هي في الأصل مسوقة للحديث عن الحق – تبارك وتعالىٰ – وعن أسمائه الحسنىٰ وصفاته العلا.

(١) تفسير الطبري ٤/ ٥٤٤.

المطلب الثاني: التماسك النصي عن طريق الإحالة بالتكرار

يعدُّ التّكرار أو التكرير لونًا من ألوان الإحالة القبلية التي تحقق التماسك والترابط داخل النص؛ إذ هو في اللغة مأخوذ من قولهم: "كرّر الشيء إذا أعاده مرة بعد أخرىٰ، وكرّرت عليه الحديث: إذا ردّدته عليه"(١)، ففيه يعود اللفظ الثاني إلىٰ الأول قبله ويرجع إليه فيقع التلاحم والترابط بينهما علىٰ هذا الوجه.

والتكرار أحد ظواهر اللغة الأسلوبية التي لاقت اهتمام اللغويين والنقاد والبلاغيين في مختلف العصور، وانطلقت في المقام الأول لدفع ما وُجّه إلىٰ القرآن الكريم من طعن بكثرة التكرار فيه(٢). فالفراء(ت ٢٠٧هـ) تعرّض لهذا الفن في أكثر من موضع في كتابه(معاني القرآن)(٣). وأبو عبيدة(ت ٢٠٩هـ) سماه في كتابه(مجاز القرآن): مجاز المكرر(٤).كذلك اهتم الجاحظ(ت٣٥٥هـ) بهذا الفن في كتابيه(البيان والتبيين)، و(الحيوان) وسماه(تكرارًا) تارة، و(ترددًا) تارة أخرىٰ، ورأىٰ أن تحديد

---

(١) لسان العرب ٥/ ١٣٥ -مادة(كرر).

(٢) يُنظر: التكرير بين المثير والتأثير. د/ عز الدين علي السيد. ط: عالم الكتب. الثانية ١٤٠٧هـ. ص ٨٧.

(٣) يُنظر: معاني القرآن لأبي زكريا يحيىٰ بن زياد بن عبد الله بن منظور الفراء. تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، وغيره. ط: دار المصرية للتأليف والترجمة. مصر. الأولىٰ ١/ ١٧٧، ٢/ ٤٥، ٣/ ٢٨٧.

(٤) يُنظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنىٰ التيمي البصري (ت ٢٠٩هـ). تحقيق: محمد فواد سزگين. ط: مكتبة الخانجي – القاهرة ١٣٨١ هـ. ١/ ١٢.

مقاماته الداعية إليه أمر غير ممكن، وأن هذا الأمر يرجع إلىٰ المتكلم وبصره بالمقام وبالمخاطب(١).

وأبو هلال العسكري(ت٣٩٥هـ) في كتابه(الصناعتين) جعله ضربًا من الإطناب له مقامات يجمل بها كالموعظة والخطابة في الصلح، والمديح(٢)،وأفرد له ابن رشيق القيرواني(ت٤٦٣هـ) بابًا في كتابه(العمدة) وقسمه ثلاثة أقسام، وذكر له مواضع يحسن فيها، وأخرىٰ يقبح فيها(٣). وكذلك فعل ابن الأثير(ت٦٣٧هـ) الذي عرّفه بقوله: " دلالة اللفظ علىٰ المعنىٰ مكررًا"(٤) إلا أنه جعله أربعة أقسام لكل قسم منها فروع تندرج تحته. وأما الخطيب القزويني(ت ٧٣٩هـ) في كتابه(الإيضاح) فجعله لونًا من الإطناب يأتي لنكتة.

ومقامات التكرار كثيرة: منها ما ذكره الخطابي في قوله: " وإنما يُحتاج إليه ويحسن في الأمور المهمة التي قد تعظم العناية بها، ويخاف بتركه وقوع الغلط

---

(١) يُنظر: البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر بن الجاحظ. ط: دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٤٢٣ ه. ١/ ١٠٥ وما بعدها، الحيوان ط: دار الكتب العلمية – بيروت. الثانية، ١٤٢٤ هـ. ١/ ٦٢.

(٢) كتاب الصناعتين لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيىٰ بن مهران العسكري(ت ٣٩٥هـ). تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. ط: المكتبة العنصرية – بيروت. ١٤١٩هـ. ص ١٩٢.

(٣) يُنظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. ط: دار الجيل. الخامسة ١٤٠١ هـ-١٩٨١ م. ٢/ ٧٣: ٨٠.

(٤) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لأبي الفتح نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. ط: المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت-١٤٢٠ هـ. ٢/ ١٤٦.

والنسيان فيها، والاستهانة بقدرها"[١]، ومنها: المدح، الهجاء، الوعظ، التهديد والوعيد، الرثاء، والتهكّم والتوبيخ[٢].

ومن أهم أسرار التكرار وآثاره المرجوّة من ورائه، وفوائده التي يحققها: التوكيد[٣]، وزيادة التنبيه علىٰ ما ينفي التهمة، والإيقاظ من سنة الغفلة ليكمل تلقي الكلام بالقبول، وتذكر ما قد بعد بسبب طول الكلام، وزيادة المدح، والتعظيم، والتلذُّذ بذكر المكرّر، والتنبيه بشأن المذكور[٤]، وحديثًا ذكر علماء النص قيمة أخرىٰ للتكرار تتمثل في دوره البارز في تحقيق التماسك بين أجزاء النص؛ إذ يذكر صاحب كتاب " لسانيات النص" أن التكرار " شكل من أشكال الاتساق المعجمي يتطلب إعادة عنصر معجمي أو مرادف له، أو شبه مرادف"[٥]، ويسميه "الأزهر الزناد" الإحالة التكرارية التي تتمثل في تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ في جمل النص

---

(١) بيان إعجاز القرآن لأبي سليمان الخطابي ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن. تحقيق: محمد خلف الله أحمد، د/ محمد زغلول سلام. ط: دار المعارف بمصر. الثالثة ١٩٧٦م. ص٥٢.

(٢) يُنظر العمدة لابن رشيق ٢/ ٧٣: ٨٠.

(٣) يُنظر: البرهان في علوم القرآن لأبي عبد الله بدر الدين الزركشي. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط: دار إحياء الكتب العربية عيسىٰ البابىٰ الحلبي وشركائه. الأولىٰ، ١٣٧٦ هـ.٣/ ٩.

(٤) يُنظر: أنوار الربيع لابن معصوم المديني. ط: النجف ١٩٦٩م. ٥/ ٣٤٥ وما بعدها.

(٥) لسانيات النص. ص ٢٤.

قصدًا للتأكيد(١). و للتكرار صور يأتي عليها، وهي: تكرار الكلمة، تكرار الجملة، وتكرار أكثر من جملة.

وفي آية الكرسي يلمح المتأمل عدة تكرارات - كلها من قبيل تكرار الكلمة - تمنح الآية خصوصية وتسهم في اتساق جملها وتلاحم أطرافها، وتعد الضمائر التي تعود إلىٰ اسم الجلالة(الله) المذكور في أول الآية أبرز هذه التكرارات، فقد تكررت في الآية الكريمة في اثني عشر موضعًا تقدّم تفصيل الحديث عنها في مبحث الإحالة مما يغني عن إعادته هنا، وهذه الضمائر كلها ضمائر غيبة، هي علىٰ الإجمال: الضمير البارز في جملة ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، الضمير المستتر في جملة ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾، الضمير البارز في جملة ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾، والضمير البارز في جملة ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾، والضميران المتصلان في(عنده)،(بإذنه) في قوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾، وضمير الغائب(هو) المستتر في الفعل(يعلم) في جملة ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ﴾، والضميران: البارز في(علمه)، والمستتر في(شاء)، في جملة ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾، والضميران البارزان في(كرسيه)،(يَودُهُ) الواقعان في جملة ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـٔوُدُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ﴾، وهو الضمير البارز(هو) - في الجملة الأخيرة من الآية الكريمة ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾. فكما هو واضح لم تخل جملة من جمل الآية الكريمة من ضمير أو أكثر يعود إلىٰ اسم الجلالة الذي افتتحت به الآية، كيف لا والحديث عنه - تعالىٰ - وعن

(١) يُنظر: نسيج النص. ص ١١٩.

صفاته العلا هو هدف الآية وقضيتها الأساسية وقطبها الذي دارت حوله جملها الشريفة.

ولا شك في أن استمرار ذكر ضمائر اسم الجلالة وتكرارها في الآية الكريمة من أولها إلىٰ آخرها يحقق التلاحم والترابط بين جمل الآية وعباراتها من جهتين: أولهما: إحالة كل ضمير من الضمائر المكررة إحالة داخلية سابقة إلىٰ اسم الجلالة المذكور في مستهلّ الآية، والثانية: ما تدل عليه هذه الضمائر جميعها في جملها من إسناد الأفعال ونسبة الصفات المذكورة فيها جميعها إلىٰ مسند إليه وموصوف واحد وهو الله – تعالىٰ – الذي بنيت الآية الكريمة علىٰ ذكر اسمه الأعظم، فكان ذكر الضمائر أمرا ضروريا لتأكيد الإسناد ولتتواصل بهذه الطريقة الاستمرارية الدلالية داخل النص فتحقق الانسجام والاتصال بين أول الآية وآخرها عن طريق تكرار الضمائر التي تعود جميعها إليه تعالىٰ.

ومن مظاهر التكرار في الآية الكريمة أيضًا تكرار الاسم الموصول(ما) في موضعين:

الأول: قوله تعالىٰ: ﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ وتكرار(ما) بعد واو العطف إنما جاء لتقوية معنىٰ العموم وتأكيده لئلا يتوهم متوهم أن ملكه إنما هو لمجموع السماوات والأرض وأن شيئًا قد يخرج عن ملكه – سبحانه، فتكرار(ما) يفيد أن جميع ما في السماوات وجميع ما في الأرض ملك له – سبحانه – وحده، وسبب آخر وراء تكرار(ما) في الجملة هنا، وهو أن الآية الكريمة إنما سيقت لبيان عظمة الخالق – جل وعلا – وبيان سعة ملكه وعلمه والاحتجاج لتفرده بالألوهية، فكان المقام يقتضي التفصيل والبسط في بيان صفاته – تعالىٰ – التي استحق بها أن

يفرد بالعبادة دون ما سواه، والإيجاز بحذف(ما) هنا يخلّ بمقصد الآية الذي سيقت لأجله.

والثاني: قوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾، وتكررت(ما) فيه لما بين صلتيها من التضاد الذي يقضي باستقلال كل منهما عن الآخر وعدم إمكان اجتماعهما تحت اسم موصول واحد، فما بين أيديهم هو علم ما مضىٰ، وما خلفهم علم ما سيأتي.

كذلك من مظاهر التكرار في الآية تكرار(لا) النافية في موضع واحد هو قوله تعالىٰ: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ وتكررت(لا) مع المعطوف بالواو ليستقل كل من المتعاطفينِ بالنفي حال انفراده لأنها لو لم تتكرر لأفاد توجُّه النفي إليهما حال كونهما مجتمعين، ولا يلزم منه حينئذ نفي كل منهما منفردًا، وهو ما يؤثر في معنىٰ تمام اليقظة والقيومية؛ إذ يفيد أنه – سبحانه – قد تصيبه السنة من غير نوم، أو النوم بلا سنة، وهذا وذاك محالان عليه سبحانه.

ولا يخفىٰ ما أحدثه التكرار – بمعونة واو العطف–في هذه المواضع الثلاث من ضم اللاحق إلىٰ السابق وإدراجه تحت لواء الحكم المنوط به، وهو ما يؤدي إلىٰ تلاحم أجزاء كل جملة وترابطها كمقدمة لانسجامها بين أخواتها من جمل الآية الكريمة وانصهارها معها في بوتقة واحدة.

المطلب الثالث:

التماسك عن طريق الإحالة بالأسماء الموصولة واسم الإشارة (ذا)

تعد الأسماء الموصولة -وما يتبعها من جملة الصلة -أحد أدوات الإحالة التي تعمل علىٰ تماسك النص وتنسج بين وحداته بما تتضمنه مع صلتها من الدلالة علىٰ ذات أو معنىٰ تقدّم ذكره في النص أو تأخّر أو لم يرد له ذكر في النص أصلًا فتكون الإحالة إليه إحالة خارجية.

وقد جاءت الإحالة بالاسم الموصول(ما) في آية الكرسي ثلاث مرات: كانت إحالة خارجية في موضعين منها؛ حيث أحيل فيهما إلىٰ عنصر ليس مذكورًا في الكلام، وإنما هو مفهوم من المقام، مدلول عليه بالسياق، الأول منهما قوله تعالىٰ: ﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ حيث أحيل بالاسم الموصول العام(ما) وصلته(في السماوات) إلىٰ كل ما في السماوات مما وقع تحت ملكه تعالىٰ ولم يجرِ له ذكر في الآية الكريمة، كما أحيل به ثانية مع صلته(في الأرض) إلىٰ جميع ما في الأرض من مخلوقاته تعالىٰ. وأما الموضع الثاني للإحالة الخارجية بالاسم الموصول(ما) فهو قوله تعالىٰ: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ﴾ حيث أحيل به مع ما اتصل به(بين أيديهم) إلىٰ علم ما مضىٰ قبلهم، وهو غير مذكور في الآية، وأحيل به مع صلته(خلفهم) مرة أخرىٰ إلىٰ علم ما سيأتي بعدهم، وهو أيضًا لم يُذكر في الآية، ولا يخفىٰ ما لهذا الاسم الموصول وصلته في الموضعين من أثر في تحقيق تماسك النص والربط بين أجزائه من جهة، والربط بينه وبين الواقع الخارجي بما أحيل إليه بهما من جهة أخرىٰ.

وأما الموضع الثالث للإحالة بالاسم الموصول(ما) فقد كانت الإحالة فيه داخلية قبلية وهو قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾ أي بالذي شاء من علمه المذكور قبل الاسم الموصول.

كما وقعت الإحالة بالاسم الموصول(الذي) في موضع واحد من الآية الكريمة، وهو قوله تعالىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ وقد أحيل به إحالة خارجية إلىٰ غير معيّن لتضمُّن الاستفهام معنىٰ النفي: نفي أن يوجد هذا الشافع الذي لم يؤذن له في الشفاعة.

وأما أسماء الإشارة فهي تسهم بشكل كبير في تحقيق تماسك النصوص واتساق أجزائها؛ لكونها تربط لاحقًا (اسم الإشارة) بسابق (المشار إليه) في النص أو خارجه، كما أنها تستمد قيمتها أيضًا مما تنطوي عليه – في الغالب – من إيجاز بديع يكمن في الإحالة بلفظها المفرد إلىٰ جملة أو جمل متتالية يُستغنىٰ عن إعادتها بها.

وفي آية الكرسي لم يرد من أسماء الإشارة إلا الاسم(ذا) الموضوع للمفرد المذكر القريب، وذلك في موضع واحد، هو قوله تعالىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾، وقد أحيل به إلىٰ غير مذكور في الآية، بل إلىٰ غير معيّن من أصله توصُّلًا لمعنىٰ الإنكار والنفي الذي دلّ عليه الاستفهام في الجملة، قال ابن عاشور في تفسيره: " و(ذَا) مَزِيدَةٌ لِلتَّأْكِيدِ إِذْ لَيْسَ ثَمَّ مُشَارٌ إِلَيْهِ مُعَيَّنٌ، وَالْعَرَبُ تَزِيدُ(ذَا) لِمَا تَدُلُّ عَلَيْهِ الْإِشَارَةُ مِنْ وُجُودِ شَخْصٍ مُعَيَّنٍ يَتَعَلَّقُ بِهِ حُكْمُ الِاسْتِفْهَامِ، حَتَّىٰ إِذا أظهر عَدَمُ وُجُودِهِ كَانَ ذَلِكَ أَدَلَّ عَلَىٰ أَنْ لَيْسَ ثَمَّةَ مُتَطَلِّعٍ يُنَصِّبُ نَفْسَهُ لِادِّعَاءِ هَذَا الْحُكْمِ"(١).

(١) التحرير والتنوير ٣/ ٢١.

المطلب الرابع: التماسك عن طريق الإحالة بالطباق

يعد الطباق صورة من صور التلاحم والتآلف بين أجزاء النص؛ إذ يقوم في الأساس علىٰ الجمع بين الشيء وضده، كما يعد لونًا من الإحالة الداخلية في النص، ومردُّ ذلك إلىٰ ما تعارف عليه البلاغيون من أن الشيء إذا ذكر استدعىٰ الذهن ضده وأحال كل منهما إلىٰ الآخر، وهذا بدوره يؤدي إلىٰ ترابط أطراف الكلام واتصالها وتماسكها، هذا بالإضافة إلىٰ ما يضفيه الطباق علىٰ المعنىٰ من توضيح وتأكيد كما قيل: "وبضدّها تتميّز الأشياء".

والمتأمل في آية الكرسيّ يجد حضور الطباق في ثلاثة مواضع منها، هي: قوله تعالىٰ: ﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾، وقوله: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ﴾، وقوله: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ﴾.

ففي الموضعين الأول والثالث وقع الطباق بين (السماوات والأرض) فعمل علىٰ شد عرىٰ الكلام وربط أجزائه؛ لاستدعاء كل طرف من المتضادين للآخر وإحالته عليه، فإن ذكر(السماوات) استدعىٰ في الذهن ذكر الأرض، وورود(السماوات) علىٰ الخاطر هيّئه لورود(الأرض) عليه، وأحاله عليه، وهو ما أسهم في تآلف الكلم وتضامّ عناصره، وهذه مزيّة عظيمة وخصيصة كبرىٰ تعانقت مع ما في الطباق من مزية تأكيد المعنىٰ وتوضيحه في التأكيد علىٰ معنىٰ شمول ملكه – تعالىٰ–وسعته وإحاطته.

وفي الموضع الثاني، وهو قوله تعالىٰ:﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ﴾ عمل الطباق بين(ما بين أيديهم)،(ما خلفهم) علىٰ تماسك أجزاء الكلام وترابط عناصره عن طريق علاقة التضاد بين الطرفين، هذا التضاد الذي أحال الذهن إلىٰ الضد

الثاني(ما خلفهم) عند ذكر الضد الأول(ما بين أيديهم) وهيّأه لاستقباله، فائتلفت عناصر الكلام وتضامت في التأكيد علىٰ معنىٰ سعة علمه – تعالىٰ – وإحاطته.

فالطباق إذًا إحدىٰ الروابط الإحالية التي يتوصّل بها إلىٰ ربط الكلام بعضه ببعض وتماسك عناصره عن طريق علاقة التضاد التي يستدعي فيها السابق اللاحق ويحيل اللاحق فيها إلىٰ السابق.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، والصلاة والسلام علىٰ المبعوث رحمة للبريات محمد بن عبد الله، وعلىٰ آله وصحبه أفضل الصلوات وأتمّ التسليمات.

وبعـــــد،

فإن القرآن الكريم بحر لا يُدرك قعره، وليس ما يقوم به علماء العربية من دراسة لآياته وسوره إلا محاولة منهم – بما آتاهم الله من أدوات – لسبر أغواره والسير في ركاب تدبُّره المأمور به شرعًا، وما هذه الدراسة التي بين يدي القارئ الكريم إلا واحدة من بين تلك المحاولات، وقد أقيمت علىٰ بحث التماسك النصي في آية الكرسي أعظم آية في القرآن، وكان من أهم النتائج والتوصيات التي أثمرت عنها ما يأتي:

أولًا: إن مصطلح (التماسك النصي) هو في الحقيقة اسم حديث لمسمّىٰ قديم، فقد اهتم علماء العربية الأوائل اللغويون منهم والبلاغيون وكذلك المفسرون – اهتموا – بتماسك النصوص من غير أن يطلقوا عليه هذه التسمية، أو يقوموا بصياغته في نظرية أو يضعوا له قواعد تحدد مباحثه وطريقة تحليله كما فعل الغربيون حديثًا، فالمتتبع لتراثهم يرىٰ ثراء كتبهم بمصطلحات وأسماء تلتقي في مُسمّاها مع مصطلح التماسك النصي – بمفهومه الحديث – من نحو الانسجام، والاتساق، والسبك والحبك، والنسج، والضم والتعليق، وغيرها من مصطلحات القدماء.

ثانيًا: تعددت آليات التماسك النصي، وتنوعت وسائل الترابط والتناسق الموضوعي في آية الكرسيّ، وكان(العطف) أحد تلك الآليات ووسائل الربط في الآية الكريمة، وقد انفرد العطف بالواو بالحضور فيها، فليس في الآية عطف إلا بالواو، وما

ذاك إلا لأنها أم الباب، وأكثر الوسائل الحرفية تحقيقًا للتماسك، وأبرزها في الربط بين أطراف الكلام، فلا عجب إذا أن تكون هي المنفردة من بين أخواتها بالحضور في تلك الآية الكريمة العظيمة الفضل الملقبة بسيدة آي القرآن الكريم. والعطف بالواو في الآية الكريمة أتىٰ في إحدىٰ صورتين: الأولىٰ: عطف المفردة علىٰ أختها، وقد وقع ذلك في ثلاثة مواضع، والصورة الثانية: عطف الجملة اللاحقة علىٰ الجملة السابقة، وقد جاء في مواضع ثلاثٍ أيضًا.

وكانت الواو في كلٍّ رائدة تحقيق التماسك بين مفردات الآية وجملها الواقعة فيها عاملة علىٰ تحقيق الترابط بين مدلولاتها.

ثالثًا: كذلك كان(الحذف) من أهم الروابط التي وقع بها تماسك نص الآية وترابط أجزائها وجُملها؛ إذ تقوم هذه الآلية علىٰ استبعاد عنصر أو أكثر من عناصر بناء الجملة التي يمكن أن تتمثل في ذهن المتلقي وتقوم فيه بمعونة قرائن تدل عليها لفظية كانت أو معنوية، وقد جاء الحذف في الآية علىٰ أحد وجهين: الأول: حذف المسند بعد واو العطف، والثاني: حذف العاطف بين الجمل.

رابعًا: كان للإحالة دور بارز في تحقيق تماسك نص الآية الكريمة، وتوثيق عرىٰ الاتصال بين عناصرها المتباعدة؛ إذ ضمت الآية بين مبدئها ومنتهاها صورًا متعددة للإحالة ما بين إحالة بالضمائر، وإحالة بالتكرار، وأخرىٰ بالاسم الموصول واسم الإشارة، ورابعة بالطباق، وقد كانت الإحالة – في أغلبها – إحالة داخلية قبلية أحيل فيها عنصر داخل نصّ الآية إلىٰ عنصر آخر واقع فيها أيضًا قد تقدّم ذكره، أما الإحالات الخارجية – التي يكون المُحال إليه فيها عنصرًا خارجًا عن النص – فلم

يكن له كبير حظٍّ في الآية الكريمة؛ إذ ورد في مواضع معدودة امتزجت فيها مع الإحالة الداخلية وتعاضدا في شد معاقد النص، وتوثيق عُرىٰ التلاحم والتماسك بين أجزائه.

وكان ضمير الغيبة هو أكثر العناصر الإحالية الواردة في الآية الكريمة؛ إذ لا يكاد المتأمل يلمح جملة إلا وهو حاضر فيها، ومستقرٌّ بين جنباتها، بل ربما يكون ضمير الغيبة هو ركن الجملة الذي قامت عليه؛ حيث أحصىٰ البحث له حوالي سبعة عشر موضعًا في الآية، وقد تنوع فيها بين بارز ومستتر، عائد إلىٰ اسم الجلالة – وهو الأكثر، وعائد إلىٰ غيره مما اشتملت عليه الآية.

خامسًا: جمعت آية الكرسي بين جلالة مضمونها وقداسته وبين تناسق أجزائها وعناصرها، الأمر الذي جعلها تعلق بالألسنة والأذهان علىٰ كثرة جملها وتعدد فواصلها.

أهم التوصيات:

١/ توصي الدراسة الباحثين بالعمل علىٰ وضع تنظير بلاغي لمعايير التماسك النصي وتبويب لآلياته بما يتماشىٰ مع الوجهة البلاغية، ويحقق لأربابها الاستقلالية عن أقرانهم من علماء النصّ الذين يختلفون معهم في المنهج وطريقة التحليل.

٢/ ومن توصيات البحث –أيضًا – العمل علىٰ إبراز أحد وجوه الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم من خلال دراسة التماسك النصي في آياته وسوره الكريمة، ولا سيما تلك الآيات التي استقلت بمضمون معيّن كآية الدّين، وكذلك الآيات والسور التي تواترت الأخبار النبوية في بيان فضلها والحثّ علىٰ قراءتها كالآيتين آخر البقرة والمعوذتين.

ثبت المصادر والمراجع

١. **أسرار البلاغة** لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار(ت ٤٧١ هـ). قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر. ط: مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.

٢. **أصول تحليل الخطاب**. محمد الشاوش. ط: المكتبة العصرية – صيدا– بيروت– الثانية ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٣. **أنوار الربيع** لابن معصوم المديني. ط: النجف ١٩٦٩م.

٤. **باب الاستقامة من الكلام والإحالة في(الكتاب)** لأبي بشر عمرو بن عثمان الملقب سيبويه. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط: مكتبة الخانجي، القاهرة- الثالثة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٥. **البحر المحيط(في التفسير)** لأبي حيان الأندلسي محمد بن يوسف(ت ٧٤٥ هـ)، بعناية: صدقي محمد جميل العطار، زهير جعيد، عرفان العشا حسّونة، ط: دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٦. **البديع في نقد الشعر** لأبي المظفر مجد الدين أسامة بن مرشد بن منقذ. تحقيق: عبد آ. علي مهنا. ط: دار الكتب العلمية – بيروت– الأولىٰ ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٧. **بذل المجهود في حل سنن أبي داود** للشيخ خليل أحمد السهارنفوري(ت ١٣٤٦ هـ)، اعتني به وعلق عليه: الأستاذ الدكتور تقي الدين الندوي، ط: مركز الشيخ أبي الحسن الندوي للبحوث والدراسات الإسلامية، الهند، الأولىٰ، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٨. **البرهان في علوم القرآن** لأبي عبد الله بدر الدين الزركشي. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط: دار إحياء الكتب العربية عيسىٰ البابىٰ الحلبي وشركائه. الأولىٰ، ١٣٧٦هـ.

٩. **بيان إعجاز القرآن لأبي سليمان الخطابي ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن.** تحقيق: محمد خلف الله أحمد، د/ محمد زغلول سلام. ط: دار المعارف بمصر. الثالثة ١٩٧٦م.

١٠. **البيان والتبيين** لأبي عثمان عمرو بن بحر الشهير بالجاحظ. ط: دار ومكتبة الهلال بيروت- ١٤٢٣ هـ

١١. تاج **العروس من جواهر القاموس** لمحمّد مرتضىٰ الحسيني الزَّبيدي. تحقيق: جماعة من المختصين. من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت.

١٢. **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن** لعبد العظيم بن أبي الإصبع المصري. تقديم وتحقيق: د/ حفني محمد شرف. ط: المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي.

١٣. **التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع** لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي(ت ٧٢٨ هـ). تحقيق: د. محمد بن عودة السعوي. ط: مكتبة العبيكان - الرياض. السادسة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م.

١٤. **الترابط النصي في الخطاب السياسي. دراسة في المعاهدات النبوية.** سالم ابن محمد المنظري. ط: بيت الغشام للنشر والترجمة الأولىٰ ٢٠١٥م.

١٥. **تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز.** لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي(ت ٥٤٢هـ). تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. ط: دار الكتب العلمية - بيروت. الأولىٰ - ١٤٢٢هـ.

١٦. **تفسير الطبري** = **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** لأبي جعفر، محمد بن جرير الطبري(٢٢٤ – ٣١٠هـ). توزيع: دار التربية والتراث – مكة المكرمة. بدون تاريخ نشر.

١٧. **تفسير القرطبي** = **الجامع لأحكام القرآن** لأبي عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. ط: دار الكتب المصرية – القاهرة. الثانية. ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤ م.

١٨. **تفسير المراغي** لأحمد بن مصطفىٰ المراغي(ت ١٣٧١هـ). ط: مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابىٰ الحلبي وأولاده بمصر. الأولىٰ، ١٣٦٥هـ – ١٩٤٦م.

١٩. **تفسير المنار**= **تفسير القرآن الحكيم** لمحمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني(ت ١٣٥٤هـ). ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٠ م.

٢٠. **التكرير بين المثير والتأثير**. د/ عز الدين علي السيد. ط: عالم الكتب. الثانية ١٤٠٧هـ.

٢١. **التماسك النصي– دراسة تطبيقية في نهج البلاغة**. رسالة دكتوراه بالجامعة الأردنية للباحث عيسىٰ جواد فضل سنة ٢٠٠٥م

٢٢. **التيسير في التفسير**لنجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي(٤٦١ – ٥٣٧ هـ). تحقيق: ماهر أديب حبوش، وآخرون. ط: دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث، اسطنبول – تركيا. الأولىٰ، ١٤٤٠ هـ – ٢٠١٩ م.

٢٣. **جمهرة اللغة** لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي(ت ٣٢١هـ). تحقيق: رمزي منير بعلبكي. ط: دار العلم للملايين – بيروت. الأولىٰ، ١٩٨٧م.

٢٤. **الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية** للشيخ عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي. ط: دار ابن القيم. الثانية ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م

٢٥. **الحيوان** لأبي عثمان عمرو بن بحر الشهير بالجاحظ. ط: دار الكتب العلمية – بيروت. الثانية، ١٤٢٤ هـ.

٢٦. **الخصائص** لأبي الفتح عثمان بن جني(ت ٣٩٢ هـ). تحقيق: محمد علي النجار(ت ١٣٨٥هـ).ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب. الرابعة.

٢٧. **الخطاب والمترجم**. باسل حاتم وإيان ميسون. ترجمة: د/ عمر فايز عطاري. جامعة الملك سعود. الأولىٰ ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

٢٨. **دلائل الإعجاز في علم المعاني** للإمام أبي بكر عبد القاهر ابن عبد الرحمن الجرجاني تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر. ط: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة – الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

٢٩. **روح البيان** لإسماعيل حقي بن مصطفىٰ الإستانبولي الحنفي الخلوتي(ت ١١٢٧هـ). ط: دار الفكر – بيروت.

٣٠. **زاد المسير في علم التفسير** لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن علي بن محمد الجوزي(ت ٥٩٧هـ). تحقيق: عبد الرزاق المهدي. ط: دار الكتاب العربي – بيروت. الأولىٰ – ١٤٢٢ هـ.

٣١. **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك** لعبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري(المتوفىٰ: ٧٦٩ هـ). تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد(ت ١٣٩٢ هـ). ط: دار التراث – القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه. العشرون ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠م.

٣٢. **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل** لمحمد بن أبي بكر بن

أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية(ت ٧٥١هـ)، ط: دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٣٣. **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية** لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي(ت ٣٩٣هـ). تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. ط: دار العلم للملايين – بيروت– الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

٣٤. **صحيح البخاري** لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفىٰ ديب البغا، ط: دار ابن كثير، دار اليمامة– دمشق، الخامسة، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م.

٣٥. **صحيح مسلم** لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري(٢٠٦ – ٢٦١ هـ). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي(ت ١٣٨٨ هـ)، ط: مطبعة عيسىٰ البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٧٤ هـ – ١٩٥٥ م.

٣٦. **علم الدلالة.** جون لاينز. ترجمة: مجيد عبد الحليم، وحليم حسين فالح، وكاظم حسين باقر. رسالة دكتوراه بجامعة البصرة ١٩٨٠م.

٣٧. **علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق**.تأليف: صبحي إبراهيم الفقي. ط: دار قباء– القاهرة –١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٣٨. **العمدة في محاسن الشعر وآدابه** لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. ط: دار الجيل. الخامسة ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م.

٣٩. **فقه اللغة وسر العربية** لعبد الملك ابن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي(ت ٤٢٩هـ). تحقيق: عبد الرزاق المهدي. ط: إحياء التراث العربي. الأولىٰ ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

٤٠. في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. تأليف: طه عبد الرحمن. ط: المركز الثقافي العربي. بيروت. الثانية ٢٠٠٠م.

٤١. كتاب التعريفات لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني(ت ٨١٦هـ). ضبطه وصححه جماعة من العلماء. ط: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان– الأولىٰ ١٤٠٣ه –١٩٨٣م.

٤٢. كتاب الصناعتين لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد ابن يحيىٰ بن مهران العسكري(ت ٣٩٥هـ). تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. ط: المكتبة العنصرية – بيروت. ١٤١٩هـ.

٤٣. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمرو الزمخشري. ط: دار الكتاب العربي – بيروت– الثالثة ١٤٠٧هـ.

٤٤. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لمحمود بن عمر بن أحمد الزمخشري(ت ٥٣٨ هـ)، وبهامشه أربعة كتب: الانتصاف من الكشاف لأحمد المعروف بابن المنير الإسكندري(ت ٦٨٣ هـ)، الكافي الشافِ في تخريج أحاديث الكشاف للحافظ ابن حجر العسقلانِي(ت ٨٥٢ هـ)، حاشية الشيخ محمد عليان المرزوقي»(ت ١٣٥٥ هـ)، مشاهد الإنصاف علىٰ شواهد الكشاف للشيخ محمد عليان. ضبطه وصححه ورتّبه: مصطفىٰ حسين أحمد. ط: دار الريان للتراث بالقاهرة – دار الكتاب العربي ببيروت. الثالثة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

٤٥. الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبي إسحاق(ت ٤٢٧هـ). تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور. مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي. ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان. الأولىٰ ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م.

٤٦. **لسان العرب** لأبي الفضل محمد بن مكرم بن علىٰ، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقىٰ(ت ٧١١هـ). ط: دار صادر – بيروت. الثالثة – ١٤١٤هـ.

٤٧. **لسانيات النص. مدخل إلى انسجام الخطاب**. ط: المركز الثقافي العربي. بيروت – لبنان– الأولىٰ ١٩٩١م.

٤٨. **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر** لأبي الفتح نصر الله بن محمد ابن محمد بن عبد الكريم الشيباني. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. ط: المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت– ١٤٢٠هـ.

٤٩. **مجاز القرآن** لأبي عبيدة معمر بن المثنىٰ التيمي البصري (ت ٢٠٩هـ). تحقيق: محمد فواد سزگين. ط: مكتبة الخانجىٰ – القاهرة ١٣٨١ هـ.

٥٠. **المخصص** لأبي الحسن علي بن إسماعيل ابن سيده المرسي(ت ٤٥٨هـ). تحقيق: خليل إبراهم جفال. ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت. الأولىٰ، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

٥١. **معاني القرآن** لأبي زكريا يحيىٰ بن زياد بن عبد الله بن منظور الفراء. تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، وغيره. ط: دار المصرية للتأليف والترجمة. مصر. الأولىٰ.

٥٢. **المعجم الوسيط**. تأليف: نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة. ط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة. الثانية(كُتِبَتْ مقدمتُها ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م).

٥٣. **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب** لأبي محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن هشام. تحقيق: د. مازن المبارك، محمد علي حمد الله. ط: دار الفكر – دمشق– السادسة ١٩٨٥م.

٥٤. **مفاتيح الغيب = التفسير الكبيرلأبي** عبد الله محمد بن عمر بن الحسن ابن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي(ت ٦٠٦هـ). ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت. الثالثة – ١٤٢٠هـ.

٥٥. **مقاييس اللغة** لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبي الحسين(ت ٣٩٥هـ). تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط: دار الفكر. ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٥٦. **منازل الرؤية: منهج تكاملي في قراءة النص.** سمير شريف استيتية. ط: دار وائل – عمان – الأولىٰ ٢٠٠٣م.

٥٧. **نتائج الفكر** في النَّحو لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي. ط: دار الكتب العلمية – بيروت – الأولىٰ١٤١٢ه – ١٩٩٢ م.

٥٨. **نحو أجرومية للنص الشعري. دراسة في قصيدة جاهلية.** سعد مصلوح. مجلة فصول. م ١٠. العدد الأول والثاني يوليو– أغسطس١٩٩١م.

٥٩. **نحو النص.** أحمد عفيفي. ط: مكتبة زهراء الشرف–القاهرة – الأولىٰ٢٠٠١م.

٦٠. النص والخطاب والإجراء. روبرت دي بوجراند. ترجمة: د/ تمام حسن. ط: عالم الكتب–القاهرة–الثانية ٢٠٠٧م.

٦١. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥ هـ –١٤٨٠ م)، ط: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الهند، الأولىٰ، (١٣٨٩ –١٤٠٤ هـ)(١٩٦٩ – ١٩٨٤ م).

٦٢. **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد ابن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ). تحقيق: صفوان عدنان داوودي. ط: دار القلم الدار الشامية – دمشق، بيروت. الأولىٰ، ١٤١٥ هـ.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٢٧٠٩
التمهيد	٢٧١٥
المبحث الأول: التماسك النصي عن طريق العطف بالواو.	٢٧٢٩
المطلب الأول: عطف المفردات بالواو	٢٧٣١
المطلب الثاني: عطف الجمل بالواو	٢٧٣٧
المبحث الثاني: التماسك النصي عن طريق الحذف	٢٧٤٥
المطلب الأول: حذف المسند بعد واو العطف.	٢٧٤٨
المطلب الثاني: حذف الواو العاطفة بين الجمل.	٢٧٥١
المبحث الثالث: التماسك النصي عن طريق الإحالة.	٢٧٦٢
المطلب الأول: التماسك النصي عن طريق الإحالة بالضمائر.	٢٧٦٥
المطلب الثاني: التماسك النصي عن طريق الإحالة بالتكرار	٢٧٧١
المطلب الثالث: التماسك عن طريق الإحالة بالأسماء الموصولة واسم الإشارة(ذا)	٢٧٧٧
المطلب الرابع: التماسك عن طريق الإحالة بالطباق	٢٧٧٩
الخاتمة	٢٧٨١
ثبت المصادر والمراجع	٢٧٨٤
فهرس الموضوعات	٢٧٩٢